Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

الكوارث الطبيعية وآثرها في المجتمع المملوكي المصري
كتاب بدائع الزهور لابن إياس إنموذجا (٩٣٠هـ/١٥٢٣م)
Natural disasters and their impact on the Egyptian Mamluk society
The Book of Dada 'al-Zuhour for Ibn Iyas is a mode

م .د خالده عبدالاله عبد الستار
وزارة التربية / مديرية تربية بغداد الكرخ/ الثانية

الملخص:

يُعدّ مُؤلف"بدائع الزهور في وقائع الدهور"لمؤلفهِ ابن إياس المتوفى سنة (٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، من المؤلفات التاريخية الاساسية للكثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده. اذا ما عرفنا: ان ابن إياس يُعدّ ايضا المؤرخ الوحيد الذي أدرك عصرين وعاش جيلين وكتب عن الاحتلال العثماني وسقوط الدولة المملوكية ، وهو بذلك أصبح شاهد عيان روى لنا لحظات الغزو العثماني لمصر الى حين توقفه عن الكتابة سنة (٩٢٨هـ/١٥٢٢م) ،وقد حوى مؤلفة بأجزاءه الخمسة الكثير من الاحداث والروايات عن الكوارث الطبيعية، وتأثير تلك الكوارث في حياة المجتمع المملوكي المصري آنذاك، اذ كانوا يعتقدون: ان تلك الكوارث تحدث نتيجة غضب إلهي لما ارتكبه افراد المجتمع من معاصي دينية ودنيوية او قد يعود سبب حدوث تلك الكوارث الى ما كان يرتكبه السلاطين بحق افراد المجتمع آنذاك من ظلم وفساد ، اذ ما علمنا : ان الكوارث الطبيعية كانت تشمل:الزلازل والجفاف والأمطار والسيول والفيضانات والبرد والثلج،فضلا على العواصف والصواعق، ناهيك عن الامراض والأوبئة ، وكذلك الكسوف والخسوف وظهور الكواكب وسقوط النجوم .

الكلمات المفتاحية :الكوارث الطبيعية.المجتمع المملوكي المصري .المؤرخ ابن إياس.

Summary:

The author of "Dadaat al-Zuhour in the Chronicles of the Ages" by Ibn Iyas, who died in the year 930 AH / 1523 AD, is one of the basic historical

works of many of the historians who came after him. If we know: Ibn Iyas is also the only historian who realized two ages and lived two generations and wrote about the Ottoman occupation and the fall of the Mamluk state. He became an eyewitness who told us the moments of the Ottoman invasion of Egypt until he stopped writing in 928 AH / 1522. And the impact of those disasters on the life of the Egyptian Mamluk society at that time. They

believed that these disasters occur as a result of divine anger at the acts committed by the members of the society from religious and worldly crimes, or the cause of these disasters may be attributed to what they committed. Sultans right members of society at the time of Injustice, and corruption, as we know: natural disasters were: drought, floods, rain, floods, snow, cold, storms and lightning, not to mention diseases and epidemics, as well as global disasters, which included: eclipse and eclipses and the emergence of planets and stars.

المقدمة :

ان اختيار موضوع الكوارث الطبيعية وآثرها في المجتمع المملوكي المصري هو احد الاختيارات المهمة في البحث التاريخي،والذي يمتاز بالعمق والأصالة ؛نظرا لعدم تطرق الباحثين لذلك الموضوع إلا في مؤلفات اخرى غير مؤلف ابن إياس .مما دعاني ذلك الى البحث والاستقصاء من اجل الوصول الى نتائج تصبح فيما بعد مرجعا مهما وعملا مميزا ، وكذلك أساسا للكثير من البحوث ، فاختيار موضوع البحث ليس لبيان ماهية تلك الكوارث، وانما سنعمد الى توضيح تلك الكوارث وتأثيرها في حياة المجتمع المملوكي المصري.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين ،وذلك على وفق الآتي:

حيث سيتضمن المبحث الاول/ سيرة المؤلف الشخصية والعلمية للتعريف به ، فيما خصصنا المبحث الثاني/ لنبين فيه تأثير تلك الكوارث في حياة افراد المجتمع بما يحويه من طبقات، ولنسجل في خاتمة البحث اهم النتائج التي توصلنا اليها ،ثم سنستعرض بعد ذلك قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الاول : السيرة الشخصية والعلمية لابن إياس:

ابن إياس هو "محمد أبو البركات[١] زين الدين بن شهاب الدين بن احمد بن إياس بن جُنيد الناصري[٢] القاهري الحنبلي"[٣].ولد بالقاهرة سنه(٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، في "يوم السبت سادس الشهر من ربيع الآخر بعد طلوع الشمس،وسماه والده محمد أبي البركات"[٤].وقد بينت المصادر: ان ابن إياس كان جركسي[٥]

---

(١)ابن إياس،محمد أبو البركات،(ت٩٣٠هـ)،بدائع الزهور في وقائع الدهور ،تحقيق:محمد مصطفى،(القاهرة،مطبعة دار الكتب والوثائق،٢٠٠٨)،ج٢،ص٢٦٣؛ابن زنبل ،احمد الرمال، (ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م)،واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق:عبد المنعم عامر،ط٢، (القاهرة ،الهيأة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨)،ص٢٥؛ حاجي خليفة ،مصطفى بن عبدالله، (ت١٠٦٧هـ)،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،تحقيق:محمد شرف الدين ، ورفعت بيلكه،(بيروت،دار أحياء التراث،١٩٤١)، مج١،ص٢٢٩؛ مصطفى،محمد ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور،(القاهرة،دار المعارف،١٩٥١)ص(٣،١٦)؛البغدادي،اسماعيل باشا،هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين (بيروت،دار احياءالتراث،١٩٥٥)،مج٢،ص٢٣١؛ عنان،محمد عبدالله،مؤرخو مصر الإسلامية،(القاهرة،مؤسسة المختار،١٩٦٩)،ص١٤٥؛ الخالدي،فاضل عبد اللطيف،ابن إياس المصري ومنهجه في البحث العلمي، (بغداد،مطبعة المعارف،١٩٧٤)،ص٢٧٦؛ البقري،احمد ماهر،ابن إياس واللغة، (الاسكندرية،المكتب الجامعي الحديث،١٩٨٩)،ص٧؛ مصطفى،شاكر،التاريخ العربي والمؤرخون،ط٢،(بيروت،دار العلم للملايين،١٩٩٠)،ج٣،ص١٩٥؛ عبدالله،يسري عبد الغني، معجم المؤرخين المسلمين،ط١،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩١)،ص٤٧؛عاصي،حسين ،ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٣)،ص٣٨؛ كحالة ، عمر رضا،معجم المؤلفين ،ط١(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٩٩٣)،ج٣،ص٥٠؛شلبي، خيري،مؤرخو مصرالإسلامية،(القاهرة،مطابع المستقبل،١٩٩٨)،ص٧٨؛ الزركلي ،خير الدين،الاعلام،(بيروت،دار العلم للملايين،٢٠٠٢)،ج٦،ص٥؛زيدان، جورجي،تاريخ آداب اللغة العربية ،(القاهرة،مؤسسة هنداوي،٢٠١٢)،ص١١٠٩.

(٢)ابن إياس ،بدائع،ج٢،(٢٧٢،٢٧١). يرجع نسبه الى السلطان "محمد بن قلاوون" الذي اشترى جد ابن إياس .ينظر:عاصي، ابن إياس،ص٤١.

(٣)الحنبلي:هو احمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني.كان أصله من مرو . ولد سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) ، في بغداد. عُرف بشدته في المحافظة والتقيد بالحديث والسُنة .سُجن في زمن الخليفتين المأمون والمعتصم ؛ وذلك بسبب محنة القول في "خلق القرآن"،واطلق سراحه من السجن في عهد الخليفة المتوكل.توفي سنة(٢٤١هـ/٨٥٥م).ينظر:البخاري،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي،(ت٢٥٦هـ)،التاريخ الكبير،تحقيق:هاشم الندوي،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٩٧٥)،ص٥؛ الشيرازي،أبو إسحاق،(ت٤٧٦هـ)،طبقات الفقهاء،تحقيق:إحسان عباس،(بيروت،دار الرائد،١٩٧٠)،ص٩١؛ القزويني،زكريا بن محمد بن محمود،(ت٦٨٢هـ)،آثارالبلاد وأخبار العباد،(بيروت،دارصادر،٢٠١١)،ص٣١٨؛السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب،(ت٧٧١هـ)،طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق:عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الضباحي،(القاهرة ، مطبعة هجر، ١٩٩٢م)،ج٢، ص٢٧.

(٤) ابن إياس،بدائع ،ج٢،ص٢٦٣.

(٥)الجركسي : يُشار الى شركس في المصادر المملوكية باسم (جارك ساو) جراكسة ،والمفرد جركسي ،وهم عنصر قوقازي الجنس موطنهم المرتفعات الجنوبية من بلاد القبجاق بين البحر الاسود وبحر قزوين .عاش الجراكسة في فقر ومعظمهم كانوا من المسيح ، وكانوا اعضاء في المماليك البرجية ،واستمر حكمهم اكثر من(١٥٠)سنة امتد من سنة (٧٨٤-٩٢٣هـ) الى سنة (١٣٨٢- ١٥١٧م) ، وهم من مماليك السلطان (قلاوون) اسكنهم في أبراج قلعة الجبل ، وعددهم(٢٣)سلطانا ،فدعوا بـ (البرجيين) أولهم / برقوق الظاهر، واخرهم / طومان باي الاشرف الذي اعدمه السلطان (سليم العثماني) ، ويطلق على البرجيين(المماليك الجراكسة) ،حيث يُعدّ (المماليك) القوة الأكثر تنظيماً وتشكيلاً في الشرق الادنى آنذاك ،ويرجع لهم الفضل في إيقاف المديين: المغولي والصليبي؛ وذلك لانتصارهم بمعارك عدة وقعت بينهم .ينظر: القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي ، (ت٨٢١هـ)،صبح الاعشى في صناعة الانشا،(القاهرة، المطبعة الاميرية ،١٩١٤م)،ج٣،ص(٤٣٩،٤٣٤)؛ المقريزي تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر،(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ،تحقيق: محمد عبد القادر، (بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٧)،ج٥،ص١٤٠؛ابن إياس ، بدائع ، ج١،ق١،ص٣٦١؛ عبد السيد،حكيم امين، قيام دولة المماليك الثانية ،(القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦)،ص١١ .

الاصل ،وهو مؤرخ وأديب مصري[١] أرخ للعصر المملوكي[٢] المتأخر، فضلا على انه يُعدّ شاهد عيان على انهيار ذلك العصر وسقوطه إبان حقبة الحكم العثماني[٣] ،اذ ما علمنا :ان " ابن إياس" يُعدّ المؤرخ الوحيد المعاصر الذي احاط احاطة تامة بأحوال الدولة المملوكية في آخر عصرها[٤]، ناهيك عن انه لم يترجم لنفسه كما فعل غيرة من المؤرخين، امثال: ابن تغري بردي[٥]، والسيوطي[٦]،... وغيرهم ، بل اكتفى بذكر بعض الأخبار الشحيحة عنه ، وعن أسرته في مؤلفاته، ولم نعثر له عن ترجمة وافية عند المؤرخين المعاصرين وممن جاء بعده ، ويمكن ان نُعلل ذلك الى أنّ بعض أخباره التي كتب عنها في مؤلفاته قد تعرضت إلى الضياع ، ولم تصل إلينا سوى شذرات قليلة عنه او ربما يعود ذلك لأسباب سياسية ؛ كونه

(١)عنان ، مصر الاسلامية ، ص١٦٢.

(٢) المماليك :جمع .مفردها مملوك ، وهو العبد الذي لايملك حريته ، بل كان ملكاً لغيره ، وقيل : هم عبيد اتراك جراكسة ومغول استعان بهم الايوبيون للخدمة العسكرية ، فتمكن بعض من زعمائهم الوصول الى الحكم،حيث أسسوا في مصر سلالتي المماليك البحرية والبرجية ،فالبحريون (٦٥١ /٧٨٤هـ)- (١٢٥٣ / ١٣٨٢م) ، اشتراهم ايوب الصالح ، يرجعون الى الجنس التركي . وقد تم جلبهم من بلاد الخزر والقوقاز وسواحل البحر الاسود ، وبنى لهم قلعة بـ(جزيرة الروضة) بالنيل ؛ ولذلك يقال لهم : المماليك البحرية ، وأنشا منهم فصيل الحرس ،كان اولهم /(ايبك المعز) ،واخرهم / (ماجي) ، ومن اشهرهم : (بيبرس الظاهر) ، و(قلاوون المنصور)،و(خليل الاشرف) .اما البرجيون فقد تكلمنا عنهم في ترجمة الجركسي.ينظر:القلقشندي، صبح الاعشى ،ج٣ ،ص(٤٣٤ ، ٤٣٩)؛ المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية)،(القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧)،ج٢،ص٢٣٦ زيادة، نقولا،دمشق في عصر المماليك،(بيروت،مؤسسة فرنكلين، ١٩٦٦)،ص٢٤.

(٣)العثمانيون:يرجع نسب العثمانيين الى الامير التركي (عثمان بن ارطغل) زعيم الترك في بلادالاناضول. استطاعوا تحويل إمارتهم الحدودية الصغيرة الواقعة في وادي (قرة صو) بالاناضول الى دولة عظيمة تتربع على عرش (القسطنطينية) عاصمة الدولة البيزنطية ، وتبسط نفوذ الاسلام على العديد من دول آسيا، وتمتد الى دول اوربا الصليبية ، اشتبكوا مع الصفويين في معركة (جالديران)،اذ انتصر بها العثمانيون سنة(٩٢٠هـ/١٥١٤م)، ثم توجهوا الى الشام ليواجهوا جيش المماليك في معركة (مرج دابق) سنة(٩٢٢هـ/١٥١٦م) ، ودخل السلطان (سليم الاول) القاهرة سنة(٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وبدء عهد جديد من السيطرة والقوة في البلاد العربية، واحكمت سيطرتها على اغلب البلاد العربية،غيران ذلك لم يدم طويلا فقد ضعفت وتعرضت لانكسارات وهزائم عدة ، ولذلك أصبحت تنعت بـ(الرجل المريض) الى ان انتهى العصر العثماني سنة(١٣٥١هـ /١٩٢٣م).ينظر:ابن اياس ، بدائع ، ج٥، ص٨٧؛ ابن الوكيل ، يوسف الملواني ،(ت١١٣١هـ/١٧١٩م)، تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،تحقيق: محمد الشناوي،ط١ (القاهرة ، الآفاق العربية، ١٩٩٩)،ص٧٢.

(٤)محمود ، بن خليفة،ابن إياس ومنهجه في كتابة التاريخ "بدائع الزهور في وقائع الدهور نموذجا،رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر،جامعة القاسم سعد الله، ٢٠٠١٢، المقدمة.

(٥)ابن تغري بردي:هو يوسف بن تغري بردي بن عبدالله .وشهرته جمال الدين ابو المحاسن .ينتسب الى الامير سيف الدين تغري بردي اليشبغاوي الظاهري، وأمه كانت جارية تركية. أما ابوه فكان رومي الجنس اشتراه الملك (الظاهر برقوق) ، وتعني كلمة تغري بردي: (الله اعطى). ولد بالقاهرة سنه(٨١٣هـ/١٤١١)،وتوفي سنة(٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، ودفن في تربة أنشأها بالصحراء . قدم ابن تغري بردي في ميدان التاريخ(١٢)مؤلفا ،وكان اول مؤلف لديه هو :"المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" ، ويأتي الكتاب الاكثر شهرة بين مؤلفاته، وهو: "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة".ينظر:السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)،الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، (بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٢)، ج١٠،ص٣٠٥؛ مصطفى، التاريخ العربي،ج٣،ص١٦٩.

(٦)السيوطي:هو جلال الدين ابو الفضل بن ابي بكر بن محمد الخضيري الاسيوطي المصري الشافعي. ولد سنة(٨٤٩هـ /١٤٤٥م) ، وتوفي في القاهرة سنة (٩١١هـ /١٥٠٥م) ،كان عالما فاضلا بارعا في الحديث الشريف، إذ بلغت مؤلفاته اكثر من ستمائة مؤلف كان من أشهرها : "تاريخ الخلفاء"

"و"بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " .وقد ترجم السيوطي لنفسه في كتابه "حسن المحاضرة". ينظر:السيوطي،جلال الدين ،(ت٩١١هـ)،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق:محمد ابو الفضل ،(القاهرة ،(د.م)،١٩٦٧)،ج١،(٣٣٥، ٣٤٤)؛ ابن إياس، بدائع ،ج٤،ص٨٣.

كان معاديا للغزو العثماني او قد تعمد المؤرخ ذلك ؛لانه كان لا يحبذ الكتابة عن نفسه ، حيث نشأ في كنفِ أسرة ميسورة الحال عُنيت بتنشئته .وكان ابن إياس من طبقة اجتماعية معروفة في ذلك الوقت يسمونها "أولاد الناس"[١]. وقد كان لابن إياس العديد من المؤلفات نذكر من اشهرها مؤلفه الشهير، والذي اتخذناه انموذجا "بدائع الزهور في وقائع الدهور "[٢]، وكذلك يطلق علية (تاريخ مصر)[٣] ،حيث ارخ لها منذ بدء الخليقة حتى نهاية المماليك ،وبداية الدولة العثمانية في مصر، وتضمن خمسة اجزاء بلغت اكثر من ثلاث آلاف صفحة،اذ تكلم ابن إياس عن مؤلفه "بدائع الزهور في وقائع الدهور"شعرا .فأنشد قائلا[٤]:

في التواريخ قد وضعت كتابا مخبرا عن ملوكنا والحواشي

ثم رققت في حواشيه معنى ولهذا اضحى رقيق الحواشي

وكذلك من مؤلفاته الاخرى "نشق الازهار في عجائب الاقطار" و "نزهة الامم في العجائب والحكم" و"جواهر السلوك في امر الخلفاء والملوك" و"عقود الجمان في وقائع الازمان" و"الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة" و"المنتظم في بدء الدنيا وتاريخ الامم"[٥] .ولم ينقطع ابن إياس عن الدراسات التاريخية ،ولا الكتابة عن تاريخ مصر إلاّ قبيل وفاته ،إذ كان اخر تاريخ كتبه بخط يده هو "يوم الاربعاء سلخ ذي الحجة الحرام "سنة (٩٢٨هـ /١٥٢١م) ، وهو تاريخ الانتهاء من الجزء الحادي عشر من مؤلفه "بدائع الزهور في وقائع الدهور " ، وظل معنيا به حتى أواخر حياته،فجاء في احد عشر جزءً، وكان عزمه ان يضيف اليه ليكتمل اثنا عشر جزءً [٦]،إلا انه توفي سنة (٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ،وقد بلغ الثمانين سنة عاش ومات ودفن في ارض مصر،والذي ارخ لها عبر مُؤلفاته التاريخية[٧].

---

(١) اولاد الناس: هم أبناء امراء المماليك الاحرار. كان عليهم القيام بالخدمة العسكرية عندما يأمر السلطان، ويكون مستعدا للخدمة في احدى الوظائف المدنية الصغرى زمن السلم ، وكان السلطان يقطعهم إقطاعيات تدر عليهم دخلا يكفل لهم حياة كريمة مع رتبة (أمير خمسة) في النظام الحربي المملوكي ،وهي مرتبة عسكرية استحدثت في العصر الايوبي ،واستمرت بالتناوب لاولاد الامراء المتوفين الذين يتولاهم السلطان بعنايته إكراما لاباؤهم.ينظر:ابن كنان ،محمد بن عيسى ،(ت١١٥٣هـ)،حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ،تحقيق: عباس صباغ، (بيروت،دارالنفائس،١٩٩١)،ص١١١؛دهمان،محمد احمد،معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي(بيروت،دار الفكر المعاصر،١٩٩٠)،ص٢٦؛ الخطيب،مصطفى عبد الكريم،معجم المصطلحات والالقاب التاريخية (بيروت،مؤسسة الرسالة ،١٩٩٦)،ص٤٤؛ سوبرنهايم،ابن إياس سوبرنهايم ،مقالة نشرت في دائرة المعارف الاسلامية. ،ص٩٢.

(٢)ابن إياس ،بدائع، ج١، ق١،ص٣؛حاجي خليفة،كشف،مج١،ص٢٢٩ ، ص٢٣٨؛ عاصي ، ابن إياس، ص٥٤

(٣)محمد علي،عبد الفتاح ،ابن تغري بردي وابن إياس دراسة مقارنة ،رسالة ماجستير غير منشورة ،القاهرة ،١٩٨٦، ص١٠٨.

(٤)ابن اياس ، بدائع ،ج٥،ص٤٩٠.

(٥)ابن إياس،بدائع ،ج٢،ص(٢٧٢،٢٧١،٢٦٣)، ج٤،ص٤٧؛حاجي خليفة،كشف الظنون، مج١،ص٢٢٩. عاصي،ابن إياس،ص(٣٨، ٤١، ٤٥).

(٦) زيادة، المؤرخون ،ص٥٢؛ كاشف ، مكانة ابن اياس بين مؤرخي مصر ،ص٥٤. وقال محمد مصطفى في التصدير :"وقد اعتمدت في نشر الجزء الخامس على المخطوط رقم(٤١٩٩)، المحفوظ في مكتبة (جامع الفاتح) باستانبول ، وهو بخط المؤلف،حيث نقرأ في صفحة العنوان :"الجزء الحادي عشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور،تأليف كاتبه العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن إياس الحنفي عامله الله تعالى بلطفه الخفي ،وغفر له ،وللمسلمين اجمعين "،واختتم المؤلف ذلك الجزء بقوله: "يتلوه الجزء الثاني عشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور ". ينظر : المقدمة، ج٥،ص٦ .

(٧) عبدالله،معجم المؤرخين ،ص٤٧ ؛ سوبرنهايم ،ابن إياس ،ص٩٢.

لقد قَدَمَ ابن إياس كتابه "بدائع الزهور" بأسلوب بديع تميز فيه بـ(قدرته على النقد)، فلم يكتفِ بسرد الحوادث والوقائع والوفيات، بل وقف بين الحادثة والأخرى بشرح وتعقيب مع شيء من الجرأة في الحكم ، والإبداع في التصوير[١]،اذ ما علمنا : ان ابن إياس قد اهتم بالمصطلحات الحضارية في مؤلفاته ، إذ كانت تحوي كنوزا لا تحصى منها ولا تُعد ، وان مؤلفاته كانت تدل على أن لديه وعي وإدراك حضاريين بدلالة اسمائها غير العادية .ويُفسر عنوان كتابة "بدائع الزهور في وقائع الدهور" :بان ابن إياس ربما كان قصده من ذلك العنوان تشبيه الحياة الانسانية بـ(الزهور) التي تنمو، فتفوح عطرا ، ثم تذبل، كذلك هو شأن الدول ايضا بقيامها وتطورها وتقدمها ،ثم تدهورها فأفولها، وربما قصد ابن إياس بمصطلح "وقائع الدهور" ما حدث لمصر من وقائع وأحداث مهولة من جراء الاحتلال العثماني الذي أدى الى اندثار الدولة المملوكية .

ان اسلوب ابن إياس أصبح مبسطا للغاية،إذ عمد الى جعل لكل كلمة مدلولها الخاص بها على عكس مؤرخين كثيرين في عصره كانوا يميلون الى الاسلوب الإنشائي، وذلك يعد دلالة على ان ابن إياس كان على علم ودراية بالمصطلحات الحضارية في ايام المماليك حتى ملأ كتابه "بدائع الزهور "بها، وهي مصطلحات عربية وفارسية وتركية تشتمل على: نظام تنشئة المماليك[٢] في الطباق[٣] ،فضلا على ذكره لأهم المصطلحات للوظائف المملوكية ونظم دولتهم ، زد على ذلك تصويره للحياة المصرية في عهدهم، حيث قدم ابن إياس تصويرا شاملا لجميع كبار الموظفين في الدولة المملوكية[٤] ، اذ ما علمنا : ان من المميزات الاخرى التي كان يتمتع بها ابن إياس ميوله الفنية والدرامية على وجه خاص حتى يبدو وكأنه يكتب قصة تاريخية حافلة يؤرخ عن طريقها للعصر تاريخا بأكمله لا يسجل الاحداث فحسب ولا يعلق عليها فقط، بل يُدون أجزاء التفاصيل بدقة وروعة مادام تخدم المؤلف [٥]. وقد أمتلك ابن إياس ايضا فذلكة في وصف مصر، وخلاصة اخبار الفتح الاسلامي ،إذ انه امتاز بأسلوب وطريقة تفكير اتصفت بالفردية اكثر مما كانت موجودة عند معظم اصحاب الحوليات ، ومن الواضح: انه كان يستمتع في تدوين الادلة والبراهين في تكذيب الاحداث الخاصة بالأوهام الشعبيه [٦]، كما كان يوصف بأنه راوية امين لحقائق مكتشفه ، ومكتشف واع يلحظ

(١) زيادة، المؤرخون ،ص٥٤.؛سوبر نهايم ، ابن إياس، ص٩٣؛ عبدالله ، معجم المؤرخون ، ص٤٨؛ رابعة ،الكتابة التاريخية ،ص٧١.

(٢) الخالدي ،ابن إياس ،ص٣٨٧ ؛ ماجد ،عبد المنعم ،التعبيرات الحضارية عند ابن إياس ،(القاهرة ،الهيأة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٧)،ص٩٣.

(٣)الطباق :جمع طبقة، وهي: ثكنات جيش المماليك بالقلعة ،وعددها اثنتا عشرة طبقة .كل طبقة بقدر حارة من حارات مصر ، وتتسع لالف مملوك ، وكانت الطبقة الواحدة تضم المماليك الذين جاءوا من بلد واحد. ينظر: ابن شاهين ،زبدة، ص٣١ ؛ ماجد، نظم،ص(١٩،١٤)؛ دهمان ، معجم الالفاظ،ص١٠٥؛عاشور ،العصر المماليكي،ص٤٣٨ .

(٤) ماجد ،التعبيرات،ص٩٣؛ زيادة، مقتبسات ، ص٢٠٣.

(٥) شلبي ، مؤرخو مصر ، ص٩١

(٦) مارغوليوس ،دراسات عن المؤرخين العرب ،ترجمة : حسين نصار(بيروت،دار الثقافة،١٩٢٩) ، ص١٣٧ .

ويُدون الامور التي تدل معرفتها على قيمتها، ومن ثم[١] اتباعه الاسلوب "الحولي" ، والذي تكمن أهميته في: المدة التي سجل فيها حوادثه ، اضف الى ذلك: انه يُعدّ شاهد عيان لها، وخاصة الاحداث التي دونها ابان سقوط الدولة المملوكية، فجاء نتاجه متكاملا لتغطية حقبة توصف بأنها من أحرج الحقب في تاريخنا العربي الاسلامي، اذا ما عرفنا :ان ابن اياس كان يحافظ على صحة ما يكتب، ويتوخى الامانة العلمية والدقة [٢] فيما ينقله من اخبار وأحداث عن المؤرخين الذين سبقوه ،كل ذلك كان يتم باختصار وعزوف عن الاطالة؛ وذلك يدل على دقة ملحوظاته ، وشدة استقصائه للحقائق، وتعليقه على الوقائع مع مقارنتها بما يحدث في عصره ،فقد كانت له شخصيته الحرة ، وما هو معروف به من الرويه والتبصر والاتزان في احكامه ونقده ، وان لم يكن معاصرا للأجزاء الاولى[٣]،بل عدّهُ بعض المؤرخين "مؤرخا صادقا يأخذ معلوماته من اوثق المصادر واكثرها دقة" [٤].

وقد تمتع ابن إياس ايضا بدرجة عالية من المستوى الاخلاقي الذي تعكسه لنا البيئة التي عاش وتربى وتعلم اصول الاخلاق الحميدة فيها،كما اتسم ابن إياس بالذكاء القائم على الامانة العلمية فيما ينقله من مصنفات المؤرخين ، فيذكر اسم الكتاب والمؤلف، ثم يذكر الكثير من المؤرخين مع ذكر وفاتهم وأهم مؤلفاتهم[٥] ،لذلك قال عنه احد المؤرخين : "وقد خلا اسلوبه من الطابع الانشائي ، وهو يكتب عن الحياة التفصيلية للدولة" [٦]، وأضاف: "كان متميزا عن مؤرخي عصره بميزة عظيمة هي :قدرته على النفاد الى ماوراء الاحداث ، فهو لم يقتصر على سرد حوادث التاريخ فحسب ، بل كان يتوقف لينقد ويتمعن ويعلق ويورد الاشعار والأخبار التي تؤيد وجهة نظره " [٧] ، وختم قوله عن ابن اياس بأنه : "ولد بمصر وأحبها، وسرت في شرايينه دماء نهرها ، وأكسبته شمسها بشرة مصرية ، فضلا على انه امتاز بروحه الوطنية العالية التي كانت هي الدافع الحقيقي وراء اهتمامه بكتابة تاريخها، واثبات تفردها جغرافيا ،وقدرتها على صنع التاريخ منذ أقدم العصور"[٨] .

(١)مقدمة المحقق ابن كنان ،حدائق الياسمين ،ص٣٣؛ شلبي ،مؤرخو ، ص٨٤.

(٢)عنان ، مصر الاسلامية ، ص١٥٣.

(٣)مقدمة بدائع ، ج١، ق١، ص٨.

(٤) عبد الكريم ، ابن إياس ، ص٣٢.

(٥) مقدمة بدائع ،ج١،ق١؛ص١٠.

(٦) شلبي ،مؤرخو مصر ، ص٩١

(٧) ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص٣٤١؛شلبي ،مؤرخو مصر،ص٨٤.

(٨)م ، ن، ص٧٨ .

المبحث الثاني: الكوارث الطبيعية وآثرها في المجتمع المملوكي المصري :

حتى يتسنى الاحاطة التامة بمعنى الكوارث فلا بد لنا ان نسبر اغوار المعاجم العربية من الناحية اللغوية اولا .فالكوارث في اللغة مشتقة من: الفعل الثلاثي "ك ر ث ".وكرث كرثةَ الامر يكرِثة ،و يكَرثه كَرثاً وأكَرثَه ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة[١] ،وكرثه الغم وكرثه ويكرثه ،اي أشتد عليه [٢].وقد جاء ذكر الكوارث في القرآن الكريم في آيات عدة ، نذكر منها قول الله تعالى عن قوم سبأ : "فأعرضوا فأرسلنا سيل العرم" [٣]، وغيرها من الشواهد الكثيرة التي ارسلها الله تعالى ليبين فيها غضبه على بعض القبائل والأقوام ،اذ ما علمنا: ان افراد المجتمع المملوكي كانوا يُرجعون حدوث كل كارثة على انها غضب إلهي لعمل ما قاموا به . وقد تكون تلك الكوارث رحمة يرسلها الله للبشر كما حصل ذلك في المجتمع المملوكي عندما ارسل الله تعالى جرادا استخدمه المجتمع كطعام للتخلص من القحط الذي كان منتشرا في تلك الايام[٤] .

اما في الاصطلاح فقد ذُكرت العديد من التعاريف بخصوص مفهوم الكوارث ، اذ عُرفت بأنها : "تلك الاحداث الضارة او المفجعة بالنسبة للإنسان وممتلكاته ومصالحه "[٥]، اذ تقسم الكوارث الطبيعية الى اربعة اقسام،هي : الاول/ الكوارث الجيولوجية ،وتشمل: الزلازل ،والثاني / الكوارث المناخية ، وتشمل: الجفاف والامطار والسيول والفيضانات والبرد والثلج والرياح والصواعق .اما الثالث/ فهي الكوارث البايولوجية،مثل: الاوبئة والأمراض. فيما شمل القسم الرابع / الكوارث الكونية ،مثل : الكسوف والخسوف وظهور الكواكب وسقوط النجوم [٦] ، اذ يمكن ان نلحظ تأثير الكوارث في حياة اي مجتمع سواء أكان ذلك التأثير سلبا ام ايجابا ، اذا ما عرفنا: ان هنالك الكثير من الاجراءات التي كانت الدول تتخذها في محاولة منها لتقليل الخسائر البشرية والمادية ، ومهما كانت الإحتياطات والتدابير فقد كان المجتمع وأفراده يتضررون من جراء تلك الكوارث ، والتي تُعدٌ بمثابة التعبير عن الرضا او السخط من الباري عز وجل، وما يمكن ان نلحظه على الدولة المملوكية : إنّها كانت لا تّبدي إهتماما بتفادي المشكلات

التي كانت تواجهها،وان كانت هنالك حلول فأنها تكون فقيرة جدا، اذ كان جلُ اهتمام السلاطين ينصب على الجيش

(١) ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ،(ت٧١١هـ) ،لسان العرب،(القاهرة،دار الحديث،٢٠١٣)، مادة كرث، ج٧، ص٦٢٨ .
(٢)الفيروز آبادي،،مجد الدين محمد ،(ت٨١٧هـ) تحقيق:مكتب تحقيق التراث،(بيروت،مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٥). ص١٧٤.
(٣) سورة سبأ الاية(١٦).
(٤) ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص(٣٩١،٣٩٠).
(٥)محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم أرباب ،الاخطار والكوارث الكونية الحدث والمواجه (القاهرة،دار الفكر العربي،١٩٩٨)،ص٣٦.
(٦)مجلة الظواهر الطبيعية ، منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ،مكتب اليونسكو الاقليمي ،٢٠٠٩،ص(٧، ٨).

وتسليحه ، والتمسك بالسلطة اكثر من تفكيرهم باتخاذ الوسائل والتدابير الآمنة للحفاظ على حياة افراد المجتمع المملوكي آنذاك. وفيما يلي استعراض لأهم الكوارث التي تعرض لها افراد المجتمع المملوكي المصري، وتأثير تلك الكوارث في الحياة اليومية للمجتمع.

اولا: الكوارث الجيولوجية: تعد الزلازل من الكوارث التي حدثت في مصر المملوكية ،والتي كانت سببا لاعتقاد الناس بان تلك الزلازل كانت تحدث كدلالة على زوال سلطان او ظالم او لفسوق انتشر في المجتمع. ففي العام (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، شهدت الديار المصرية حدوث زلزال قوي ،الا ان وقع ذلك الزلزال كان اقوى في الاسكندرية وثغرها[١].فقد هدمت الاسوار والأبراج وجزء من منار الاسكندرية ،ونتيجة لذلك فاض البحر حتى غرقت البساتين. اما نتيجة الزلزال في القاهرة ،فقد هدمت "مئذنة المدرسة المنصورية[٢]ومئذنة جامع الظافر ومئذنة جامع الصالح بالقرب من باب زويلة[٣]،وحدث انهيار وتشقق في الجبل المقطم" [٤] . وكان تأثير ذلك في المجتمع المملوكي :انه ولد لهم الخوف والهلع والرعب ، ومن ثم هروب الناس من دكاكينهم،وخروج النساء من بيوتهن مع اطفالهن خوفا،حيث لاذوا بالفرار الى الصحراء.وقد تداول الناس فيما بينهم: ان ذلك اليوم هو يوم القيامة حتى ان بعض البيوتات سقطت وتهدمت وفي داخلها سكانها ، مما ادى ذلك الى موت الكثير من الناس ،اذ ما علمنا: ان الزلزال عاود كرته لمدة عشرين يوما [٥] .

(١)الإسكندرية :مدينة بناها الاسكندر الأكبر على ساحل البحر من ارض مصر ،وسميت على اسمه. وقد اشتهرت بعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال ، وبُني بها منارة الإسكندرية ،وقد تم فتحها على يد المسلمين سنة(٢١هـ/٦٥١م)، وعمدوا إلى بناء خمسة من المساجد والأسوار ، وكانت ثغر مصر الأول على البحر المتوسط ،وامتازت بحسن بنائها وكثرة اسواقها وعظمة ابوابها وجمال منارها الذي اصبح حديث لكل من مر بها ،ينظر: البلاذري أبو الحسن ،(ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، (بيروت ،دار الكتب العلمية، ١٩٧٨)، ص٢٢١ ؛الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، (ت٥٦٠هـ) ، نزهة

المشتاق في اختراق الآفاق،(القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢)،ص٣٢٠؛العبدري،محمد بن علي بن مسعود البلنسي،(ت٧٢٥هـ)الرحلة المغربية،(الجزائر،منشورات بونة،٢٠٠٧)،ص١٤١؛ البغدادي ،صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ،(ت ٧٣٩هـ)،مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والقلاع ،تحقيق: علي محمد البجاوي،(بيروت،دار الجيل، ١٩٩٢)، ج١،ص٧٦،ابن إياس،نزهة الأمم في العجائب والحكم ،تحقيق:محمد زينهم محمد عزب،(القاهرة،مكتبة مدبولي، ١٩٩٥)،ص١٧٩؛ابن إياس ،بدائع،ج١،ق٢،ص٢٣.

(٢)المدرسة المنصورية: بناها السلطان المنصور قلاوون سنة (٦٨٢هـ/١٢٨٣م)،من داخل باب البيمارستان بخط مابين القصرين ،ورتب بها تدريس تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي و المذاهب الاربعة ،والطب .ينظر،المقريزي،الخطط،ج٢،ص٣٧٩؛ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص(٤١٦،٣٥٣).

(٣)باب زويلة:هو باب سميي نسبة الى زويلة ، وهي قبيلة من قبائل البربر الذين جاءوا مع "جوهر الصقلي"من المغرب ، وهو احد ابواب القاهرة من جهتها القبلية ، وبنى ذلك الباب الخليفة "العزيز بالله الفاطمي" ، وأكمله امير الجيش "بدر الجمالي" ، وكان من اعظم الابواب وأعلاها ، كثيرا ما يعلق على الباب من يكون مذنبا ،ويقطع رأسه.ينظر:القلقشندي، صبح الاعشى،ج٣،ص٣٥٣ ؛ابن إياس،بدائع،ج١،ق٢،ص٥٨٢.

(٤)الجبل المقطم: يطل ذلك الجبل على جانبي نهر النيل ،ويستمر الى النوبة في بلاد السودان ،ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالغرب الى سلجماسه ،ومنها الى البحر المحيط، وترجع التسمية الى رجل كان يطلق عليه (مقيطام الحكيم)، والذي كان يعمل بالكيمياء في الجبل .ينظر:المقريزي،الخطط،ج١،ص١٢٣.

(٥) ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص٤١٦.

وقد تم الايعاز ببناء ما تهدم من ابراج في ثغر الاسكندرية ، اذ قال ابن إياس في ذلك:" عُمر ما سقط من الابراج سبعة عشر برجا ،ونحو ستة واربعين[١] بدنة"[٢]،وايضا اصلاح ما تهدم من الجوامع [٣] ،وبتوجيه من السلطان "الناصر محمد قلاوون "[٤].اما في سنة(٧٥٨هـ/١٣٥٦م) ،من شهر ذي القعدة ،فقد حدث زلزال وأمطرت السماء في ذلك اليوم مطرا غزيرا " ،فتعجب افراد المجتمع من مرافقة الزلزلة والمطر في يوم موت الامير شيخو الناصري"[٥]. وقد ارجع افراد المجتمع سبب ذلك الى انه مات غدرا ، فوقع غضب الله على من في الارض[٦]، وحدث زلزال ايضا في سنة (٨٢٨هـ/١٤٢٤م)،ادى الى تحرك" الدور والأماكن والمآذن حتى كادت ان تسقط على الارض" ،وقد ادى ذلك الى هلع الناس وخوفهم ،فخرجوا من بيوتهم الى الطرقات والأسواق لوجود الاماكن الخالية من البناء ،وذلك ليضمنوا سلامتهم [٧]. وقد وقعت زلزلة بالقاهرة سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م)،"ماجت الارض منها مرتين "،وبعدها حدث وباء الطاعون[٨]ككارثة اخرى توقعها افراد المجتمع بعد حدوث الزلزال،وكذلك في سنة(٨٧٢هـ/١٤٦٧م)،وقعت في القاهرة زلزلة خفيفة،وسقط منها بعض الاماكن[٩].وقد حدث زلزال ايضا في سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م)، بالقاهرة ليلا تضرر المجتمع منه[١٠] .

(١) ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص ٤١٧.

(٢)البدنة: اي السور او قسم منه لا يكون فيه برج ،بل هو يقع ما بين برجين. ينظر:دهمان ،معجم الالفاظ،ص٣١.

(٣) ابن إياس،بدائع ،ج١،ق١،ص٤١٧ .

(٤)هو محمد بن قلاوون الملك الناصر أبو المعالي .التاسع من ملوك الترك وأولادهم في مصر. بويع للسلطنة بعد أخيه "الاشرف خليل" سنة(٦٩٣هـ/١٢٩٣م) ،خلع من السلطنة سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، اذ استمر حكمه سنة واحدة، وهي السلطنة الأولى.أما سلطنته الثانية فقد كانت سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م)،وتم خلعه من السلطنة سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م) ، وقد استمرت مدة السلطنة الثانية عشر سنوات وسبعة أشهر ، ثم عاد إلى السلطنة سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، فيما استمرت سلطنته الثالثة مدة طويلة، إذ كان مجموع مدة سلطنته الثانية والثالثة تبلغ (٤٣)سنة ،ويعد من أول السلاطين المماليك الذي طالت مدة حكمه. توفي سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م).ينظر: المنصوري،بيبرس،(٧٢٥هـ) ،مختار الأخبار،تحقيق:عبد الحميد صالح،(القاهرة ،

الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٣)،ص٧٠؛ ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي ، (ت٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب ، ويحيي سيد حسن،(القاهرة ، دار المعارف ، (د.ت))،ج٤،ص٢٠؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ،(ت٨٠٩هـ) ،الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ،تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور،(السعودية ،مركز حياء التراث،١٩٨٢)،ص٣٤١ ؛ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن، (ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م)، ج٧ ،ص٢٤٨ ؛ ابن إياس،بدائع، ج١،ق١،ص(٤٨١،٤٨٦،٣٧٨).

(٥)الامير شيخو الناصري : هو الامير شيخون العمري الناصري. اول من سُمي بأمير واتابك العساكر في سلطة الناصر حسن الثانية ، وأصبحت تلك الوظيفة اعلى شأنا من وظيفة نيابة السلطنة ، وعظم أمر شيخون حتى صار هو من يمسك بيده الحل والعقد في امور المملكة ،وتمتع بمكانه عالية .توفي اثر جرح اصابه من السلحدار(قطلو خجا) فمات من اثرة سنة (٧٥٨هـ/١٣٥٦م). ينظر: ابن تغري بردي،الدليل الشافي على المنهل الصافي،تحقيق: فهيم محمد شلتوت،(القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩)، ج١،ص٣٤٦؛ ابن حجر العسقلاني ، ابي الفضل احمد ، (٨٥٢هـ)،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (بيروت،دار أحياء التراث العربي،١٩٧٢)،ج٢،ص١٩٦؛ ابن إياس، بدائع، ج١،ق١،ص٥٥٤.

(٦) ابن إياس،بدائع،ج ١،ق١،ص٥٦٣.

(٧)م ، ن،ج٢،ص٩٩.

(٨)م ، ن،ج٢،ص١٨١

(٩) م ، ن،ج٢،ص٤٧١.

(١٠) م ، ن،ج٣،ص١٢١.

اما في سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م)،فقد حدث زلزال ايضا واستمر ليومين ،وفي اثناء"الزلزال حدث كسوف الشمس كسوفا تاما"[١].وقد شهدت القاهرة في شهر محرم من سنة (٩١٤هـ/١٥٠٨م) "زلزلة خفيفة بعد العشاء ،وأقامت نحوا من ربع درجة ،والأرض تضطرب"[٢]. وحدثت زلزلة خفيفة في السنة نفسها من شهر ذي الحجة [٣]. اما في سنة (٩١٤هـ/١٥٠٨م)،فقد حدث انهيار او خسف في الارض بجزيرة تجاه مدينة اقريطش ،فهلك بها من الناس والبهائم ما لا يعُدّ ولا يحصى [٤] .

ثانيا:الكوارث المناخية:ان للكوارث المناخية تأثير واضح في حياة المجتمع المملوكي المصري تجسد بالآتي :

١-الجفاف:حيث كان الجفاف مرتبطا ارتباطا وثيقا بنهر النيل، اذ ما علمنا:انه كان يمثل العمود الفقري المائي في مصر المملوكية. ففي احداث سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)،تعرضت مصر الى كارثة بشرية تكلم عنها المجتمع المملوكي لسنين من هول ما حدث فيها من قحط في المواد المزروعة، والذي ادى ذلك بدوره الى حدوث مجاعة ،ومن ثم موت، مما اضطر افراد المجتمع آنذاك الى أكل لحوم القطط والكلاب والحمير والبغال والخيل والجمال. وقد قال ابن إياس في ذلك: "لم يبقِ عند أحد شيء من الدواب" [٥]، إلاّ انه وفي السنة نفسها قال ابن إياس: "لطف الله تعالى بأهل مصر ،فأرسل عليهم جرادا كثيرا ،فأكل منه الناس"[٦]، اذ يمكن القول: ان بعض الكوارث قد تؤدي فائدة للمجتمع مثلما استفاد المجتمع المملوكي المصري من الجراد، فإتخذوه طعاما لهم لسد جوعهم وانقاذهم من الموت؛ نظرا لشدة الجفاف والقحط. اما في احداث سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م)،وعندما نقص نهر النيل وعم الجفاف "، فنودي في القاهرة للناس بالخروج الى صلاة الاستسقاء[٧]،فخرج الخليفة وقضاة القضاة والعلماء والصلحاء والناس قاطبة"،وذلك يدل على تكاتف

الايدي عندما كان يصيب المجتمع بلاء، فتجتمع اعلى سلطة في البلاد الى اصغر افراد المجتمع .وقد ندر وجود الماء في احداث سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،وذلك بسبب جفاف نهر النيل ايضا ، ومن ثم أثر ذلك في مهنة السقاة الذين كانوا يعتمدون عليه في نقل الماء الى الدور[٨]؛ولشدة جفاف نهر النيل اضطر الناس الى أكل الكلاب والقطط،وهو ما شهدته احداث سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)،وادى ذلك الى موت الفلاحين[٩]،

(١)ابن إياس،بدائع، ج٣،ص(٢٨١، ٢٨٢)..
(٢) م ، ن، ج٤،ص١٤٨.
(٣) م ، ن،ج٤،ص١٣٢.
(٤)م ، ن،ج٤،ص١٣٣ .
(٥) م ، ن،ج١،ق١،ص(٣٩٠/٣٩١)
(٦)م ، ن،ج١،ق١،ص(٣٩٠/٣٩١).
(٧) م ، ن،ج١،ق١،ص٥٣١، ج١،ق٢،ص١٢٤.
(٨)م ، ن،ج١،ق١،ص٥٢١ .\
(٩)م ،ن،ج١،ق٢،ص٧٠٦ .

وجف نهر النيل مرة اخرى حتى ان افراد المجتمع آنذاك كانوا يعبرون الى الجهة الاخرى منه مشيا[١]. اما في سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م)، وعندما "نزل السلطان المؤيد شيخ[٢]وصحبته الخليفة والقضاة الاربعة ،وسائر العلماء والمشايخ والصلحاء والزهاد ... ،وبكى السلطان وتضرع الى الله تعالى ،ثم صلى السلطان من غير سجاده ،وصار يمرغ وجهه على الرمل"[٣] رغبة منه في رفع ذلك البلاء-الجفاف- عن مصر ، ونزول المطر لزيادة نهر النيل .وقد حصل في سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، جفاف في مصر، وادى ذلك الى قلة القمح المزروع الذي ادى بدوره الى قلة الخبز المخبوز في الافران ، وآثر الجفاف ايضا في جميع الحيوانات بما فيها الابقار والأغنام ،مما ادى ذلك بدوره ايضا الى قلة الالبان والأجبان ، فضلا على حصول زيادة في الاسعار ،وقلة في الايدي العاملة ؛ وذلك بسبب موت افراد المجتمع[٤]. اذ يمكن ان نلحظ مما تقدم: انه عندما كانت تحدث كارثة ما ،مثل: الجفاف يزداد الفقر والجوع، ويلجأ بعض افراد الطبقة الميسورة الحال الى التكفل بالفقراء ، وذلك من اجل اعانتهم ،وهو ما اكده ابن إياس في مؤلفة بدائع الزهور اكثر من مرة [٥]. وقد تعمد الدولة في بعض الاحيان لى استيراد القمح من مناطق اخرى لسد النقص الحاصل ؛نتيجة الجفاف[٦]، اذ ما علمنا: ان الجفاف يؤدي ايضا الى لجوء البعض من افراد المجتمع الى أكل كبد وقلب بعض الناس،وهو ماحدث [٧] في مدينة بلبيس[٨] اذا ما عرفنا: ان الجفاف يؤدى الى حدوث فوضى عارمة في المجتمع ،ناهيك عن حدوث سرقات للمواد الغذائية ، ومحاولات لنهب الخبز من الافران [٩].

(١)ابن إياس،بدائع، ج١،ق٢،ص٦٩٠.

(٢) المؤيد شيخ: هو المؤيد أبو النصر شرف الدين شيخ المحمودي.من مماليك السلطان الظاهر"برقوق". دخل القاهرة وعمره أثنا عشر عاما،اشتراه الملك الظاهر بعد موت مالكه ، فدفع ثلاثة آلاف درهم وحصل عليه.تقلد العديد من المناصب،منها أمرة عشرة ، ثم أمير طبلخاناه،ثم رأس نوبة، وأصبح أمير ألف وولى نيابة طرابلس والشام، أصبح سلطان البلاد سنة(٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، توفي أثر مرض ألم به سنة (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م)، وكانت مدة حكمه ثمان سنين وأربعة شهور وثلاثة وعشرين يوما .ينظر: المقريزي، السلوك ، ج٦، ص٣٣٨؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،١٤،ص٧١؛ابن طولون ، محمد بن الصالحي، (ت٨٥٣هـ)،أعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان (دمشق،دار الفكر ، ١٩٨٤)، ص٨٥؛ ابن إياس، بدائع،ج١،ق٢،ص٧١٣،ج٢،ص٦٠.

(٣)ابن إياس،بدائع، ج٢،ص٥٤.

(٤)م ،ن، ج٢،ص١٠٤.

(٥)م ، ن،ج١،ق٢،،ص(١٤٠، ١٤١، ٦٨٩) ج٢،ص١٠٤،ج٤،ص٢١٧.

(٦) م ، ن،ج٢،ص٢٨٣

(٧) م ،ن،ج١،ق٢،ص٧٠٦.

(٨)بلبيس:مدينة تقع في مصر من الوجه البحري،حيث تعد مركز الشرقية .وقد سميت (ارض حاشان)،وهي مكان نزول النبي "يعقوب"عليه السلام ،كانت مدينة عامرة ببنائها واهلها .يكثر فيها النخيل .ينظر:البكري،عبدالله بن عبد العزيز،(ت٤٨٧هـ)،معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق:مصطفى السقا،(بيروت،عالم الكتب،١٩٤٥)،ج١،ص٢٧٣؛ابو الفداء،تقويم البلدان ، تصحيح : كوكين ديلان ،(باريس ، المطبعة العثمانية ، ١٨٥٠)، ص٩٩؛ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى،(ت ٧٤٩هـ)،التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق:محمد حسين شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)،ص٢٢٢.

(٩)ابن إياس،بدائع،ج٢،ص٢٨٤.

وقد نقل ابن إياس بعض ابيات من الشعر تصف حجم الضرر الذي حل بالمجتمع المملوكي جراء موت الاشجار والحيوانات وقلة الخضروات والقمح والشعير ،وغيرها من المواد الاخرى، فضلا على ذلك كانت الدولة تفرض ضرائب الضعف على الارض المزروعة عند الجفاف، اذ قال[١]:

قسما بلوح الخبز عند خروجه من فرنه وله الغداة فوار

ورغائف منه تروقـك وهي في سحب الثقال كأنها أقمار

٢- هطول الامطار والسيول: يُعدّ هطول الامطار من الكوارث المناخية التي كانت تؤثر في المجتمع المملوكي المصري . ففي احداث سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، هطلت امطار غزيرة ادت الى غرق الطرقات والأسواق،كما احدثت تلك الامطار سيلا عظيما انحدر الى مجرى نهر النيل حتى تغير لونه [٢].وقد اظلم الجو وامطرت السماء مطرا غزيرا حتى سال من الجبل المقطم سيلا عظيما "،وتبع ذلك حدوث رعد وبرق في الجو. اما في سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)،فقد امطرت السماء مطرا غزيرا تسبب في سيول جارفة دخلت البيوتات ،وتهدمت من جراء ذلك[٣].وقد غرقت الازقة والطرقات وتضرر افراد المجتمع، فأصبحوا "يخوضون فيها الناس"، واستمر ذلك لمدة اسبوعين في شهر شوال من سنة(٧٩٥هـ/١٣٩٢م) [٤] ،وقد امطرت السماء ايضا مطرا غزيرا، وسببت سيولا جارفة وعظيمة تضرر منها افراد المجتمع في شهر صفر من سنة (٨١٨هـ/١٤١٥م)[٥]، وامطرت السماء ايضا مطرا غزيرا ، وزاد نهر النيل وسالت الاودية في شهر جمادى

الاولى من سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٢م)[٦]،كما تضررت المنشآت والممتلكات؛ نتيجة لما احدثته الامطار الغزيرة آنـــذاك ،وهـــو مـــا حـــدث في الســـنوات(٨٤٥هـــ/١٤٤١م) و(٨٥٩هـــ/١٤٥٤م) و(٨٦٨هـ/١٤٦٣م)[٧].وقد هلك الزرع وماتت البهائم في سنة(٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)؛ نتيجة الامطار الغزيرة ايضا[٨].اما في شهر ربيع الاول من سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، فقد امطرت السماء "مطرا مهولا حتى وقع منه عدة أماكن ، وخسف غالب القبور "[٩].

(١)ابن إياس،بدائع، ج٢،ص(٢٨٣، ٢٨٤).
(٢)م ، ن، ج١،ق١،ص٤٥٧.
(٣) م ، ن، ج١،ق٢،ص٢٩٤.
(٤)م ،ن،ج١،ق٢،ص٤٦٢ .
(٥)م ، ن،، ج٢،ص١٩.
(٦) م ،ن،ج٢،ص٨٦.
(٧)م ، ن،ج٢،ص٤١٩.
(٨) م ، ن،ج٢،ص٣٣٢.
(٩) م ، ن،ج٣،ص٣٨١.

وقد غرقت الشوارع لهطول امطار غزيرة وكثيرة جدا ليومين متتالين ،وذلك ماحدث في شهر محرم من سنة(٩١٤هـ/١٥٠٨م)، وذكر ابن إياس فيها ما يلي : "اوحلت منه الاسواق"[١]، اذ كان ابن إياس ينبهنا الى ان الاسواق كانت مرتبطة بالحالة الاقتصادية للمجتمع ، لا بل كانت تُعدّ الشريان الرئيس له، ومعناه: انها تعطلت وأغلقت مما أثر ذلك سلبا في حياة المجتمع اليومية وحركته المعتاد عليها في شراء المواد الغذائية ...وغيرها من احتياجات الاسرة ،اذ ما علمنا :ان السلاطين كانوا لا يهتمون بالاسواق عمارة وعناية مقارنة بالناحية العسكرية .اما في رمضان من سنة (٩١٥هـ/١٥٠٩م)، فقد اوحلت الاسواق وتعطلت؛ بسبب الامطار الغزيرة [٢] ،وهو ما شهدته ايضا احدث سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م)[٣] .

٣– الفيضانات: تُعدّ الفيضانات ايضا من الكوارث المناخية التي كانت تؤثر في المجتمع المملوكي، وقد تتبع ابن إياس ذلك في مؤلفه بدائع الزهور فذكر في سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)، ان نهر النيل قد فاض، فخاف الناس من ان زيادة منسوب الماء قد يقلب السد ،فسارعوا الى فتحه[٤]، ولم يذكر ابن إياس اي اضرار حدثت جراء ذلك إلاّ في المصادر التي سبقت عصره، اذ ذكروا من ان الفيضان كان سببا في هلاك بعض افراد المجتمع مع حدوث ضرر في بعض المنشآت آنذاك [٥] .وقد فاض نهر النيل سنة(٧٥٥هـ/١٣٥٤م)، فاغرق اماكن كثيرة[٦]،منها: شبرا[٧]،وبساتين جزيرة الفيل ،وانقطعت الطرقات وغرقت اراضي الروضة ...وغيرها من الاراضي[٨]. اما في سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م)، فقد انقطعت الطرقات على المسافرين حتى

امتنعوا من السفر،وتضرر المزارعين، وغرقت الكثير من الدور والجوامع ،فخرج افراد المجتمع يدعون الى الله في الجوامع والمزارات لرفع الضرر عن افراد المجتمع[٩].وفي سنة(٧٧٣هـ/١٣٧١م)، فاض نهر النيل ايضا ، وانقطعت الطرقات وتأخرت المزروعات عن آوانها ،وتقطعت الجسور وهدمت اغلب البيوتات المطلة على نهر النيل[١٠]،

(١)ابن إياس،بدائع،ج٤،ص١٣٣.
(٢) م ،ن،ج٤،ص١٥٠.
(٣) م ، ن،ج٤،ص١٩٨.
(٤)ابن إياس ،بدائع،ج١،ق١،ص٤٤٨.
(٥)المقريزي ،السلوك،ج٢،ص٥٢٤.
(٦)ابن إياس ،بدائع، ج١،ق١،ص٥٥٥.
(٧) شبرا:من ضواحي القاهرة .يطلق عليها شبرا الخيام ، حيث تُعدّ من اكثر مدن القاهرة شهرة بصناعة الخمور وبيعها ،اذ كان أغلب خراجها من بيع الخمور،وفيها كنيسة للنصارى .ينظر:ابن إياس،بدائع،ج١،ق٢،ص٥٩٥.
(٨)ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص٥٥٥.
(٩)م ، ن، ج١،ق١،ص٥٦٩.
(١٠) م ، ن،ج١،ق٢،ص١٠٥.

فضلا على تهدم عدة دور من جزيرة الروضة[١] وبولاق[٢]، وايضا تقطعت الجسور وامتلأت الاراضي الزراعية بالماء،مما سبب ذلك للفلاحين خسائر فادحة شهدها شهر رجب من سنة(٧٨٥هـ/١٣٨٣م)[٣]،وفي شهر شعبان من سنة (٨٢٥هـ/١٤٢١م)،فاض نهر النيل ايضا ،وسبب ذلك الفيضان تلف المزروعات[٤]،اذ ماعلمنا: ان كل البيوتات التي كانت بجانب جزيرة الروضة قد وقعت من قوة الماء وشدته على الرغم من ان البيوتات كانت محكمة البناء ،وهو ما حدث في شهر جمادي الآخرة من سنة (٩١٤هـ/١٥٠٨م)[٥] .

وكانت الدولة غالبا ما تتخذ احتياطاتها تهيئا لفيضان النيل ،وذلك بعمل مجراة تدور دواليبها لتأخذ الماء من نهر النيل عند الفيضان الى بحيرة في الميدان ، وتم حفر خليج في عهد الناصر محمد ، واطلق علية (الخليج الناصري) ليتفادوا بذلك فيضان النيل[٦].اذا ما عرفنا: ان السلطان الغوري[٧] قد بنى ثلاثة صهاريج تملئ من نهر النيل في الميدان[٨]عند الفيضان.ان القاريء لمؤلف ابن إياس يلحظ:ان السلاطين عمدوا الى اتخاذ الكثير من الاجراءات للحد من الفيضان،الا ان تلك الاجراءات كانت عقيمة ولم تصمد قبالة فيضان النيل .

٤- البرد والثلج: يُعدّ كل من: البرد والثلج من الكوارث المناخية لما لهما من تأثير سلبي في افراد المجتمع المملوكي.فعندما كان ينزل البرد يزداد الجو برودة،مما يؤثر ذلك في زيادة الاسعار،ومن ثم اشتداد الجوع، فضلا على كثرة الامراض،اذ ما علمنا :انه كان يسقط في كل يوم عددا كبيرا من الافراد موتى،اذ يصعب تكفينهم ودفنهم، وذلك ما شهده شهر جمادي الآخر من سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)[٩].

(١)جزيرة الروضة :هي جزيرة في وسط البحر تقع بين الفسطاط والجيزة ،فيها الكثير من البساتين والثمار.تعرف قديما بـ"جزيرة الصناعة".رمم حصنها (احمد بن طولون) سنة(٢٦٣هـ/٨٧٦م)،ثم بنى "نجم الدين" قلعة حصينة اسكن فيها المماليك البحرية .استغرق بنائها ثلاث سنوات.ينظر: أبن دقماق،إبراهيم بن محمد بن أيدمر، العلائي، (ت٨٠٩هـ)،الانتصار لواسطة عقد الأمصار،(القاهرة ،مطبعة بولاق، ١٨٣٩م)،ق١،ص٤١؛ابن الوكيل ، يوسف الملواني ، (ت١١٣١هـ)،تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،تحقيق: محمد الشناوي،ط١ (القاهرة، الافاق العربية، ١٩٩٩)، ص٥٩.

(٢)بولاق: تعني الميناء او المرساة ،وهي مدينة من مدن مصر ،تم المباشرة في بنائها سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م)، وتُعدّ من احسن الاماكن على شاطئ النيل ويأتي الى سواحلها اكثر مما يأتي الى ساحل مصر ؛ لذلك اصبحت مرساة للسفن القادمة الى القاهرة ،فضلا على ذلك كانت تُعدّ من المتنزهات التي يرتادها افراد المجتمع في الاحتفالات.ينظر: ابن ظهيرة،جار الله جمال الدين،(ت٩٨٦هـ)،الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة،تحقيق:مصطفى السقا،(القاهرة،دار الكتب،١٩٦٩)،ص٢٠٢؛ابن إياس،بدائع،ج٤،ص١١٠؛بول،استانلي،سيرة القاهرة ،ترجمة:حسن ابراهيم حسن(القاهرة، مكتبة النهضة ،١٩٠٢)،ص٢١٧.

(٣) ابن إياس،بدائع، ج١،ق٢، ص٣٣٥

(٤)م ، ن،ج٢،ص٨٣.

(٥) م ، ن،ج٤،ص١٣٧.

(٦) ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص٤٥٥،ج٢،ص١٠٤،ج٤،ص٢١٥.

(٧)الغوري:هو ابو النصر قانصوه بن يبردي الغوري الاشرفي .السادس والاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية، ومن ملوك الجراكسة العشرين. تسلم السلطة سنة(٩٠٥هـ/١٤٩٩م)،ولقب بـ(الملك الاشرف)،كني بـ(ابي النصر قانصوه الغوري).تولى الملك وعمره (٦٠)سنة ، قتل في معركة(مرج دابق) سنة(٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وكانت مدة سلطته خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما.ينظر: ابن اياس ،بدائع،ج٤، ص(٢، ٣،٤)،ج٥، ص(٨٨،٦٨) سليم ،محمود رزق ،عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (القاهرة ، المطبعة النموذجية، ١٩٦٢)،ص٥٨.

(٨) ابن إياس،بدائع،ج٤،ص١٣٧ .

(٩)م ، ن،ج١،ق٢،ص٦٨٥.

اما في شهر محرم من سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)،فقد شهد نزول " امطارا غزيرة ،ونزل ...برد كبار " استفاد منه الناس بجمعه وبيعه بالرطل[١].وقد وقع برد عظيم كان قدر كل بردة كبيضة الدجاجة ،فهلك من جراء ذلك الاغنام والابقار ما لا يحصى ".وذكر ابن إياس:ان ذلك حدث في آواخر فصل الصيف من شهر محرم سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، وعُدّ ذلك من النوادر[٢]. وقد اشتد البرد في سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، حتى ان المياه جمدت،واخذ الناس يجمعون الجليد ويبعونه في الاسواق بالرطل مما استفاد منه بعض افراد المجتمع[٣]. اما في ربيع الاول سنة(٨٦٠هـ/١٤٥٥م)،فقد امطرت السماء،ونزل البرد في قليوب،وكان وزن كل بردة يقدر بخمسين درهما[٤]. وقد هلكت المواشي وافسد الزرع[٥]،وامطرت السماء في شهر رجب من سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م)،"بردا كبارا،كل حصوه منها قدر بيضة الحمامة،وسبب ذلك تلف المزروعات

وموت البهائم"[٦]. اما في سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م)،فقد اشتد البرد فأحرق الاشجار وجمدت المياه واستمر اياما .وقد ذكر المنجمون: انه عندما ينزل البرد يصاحبه وقوع الفتن ،وزاد الثلج بشكل كبير جدا ايضا،حيث كان ينزل ليلا بكثافة فيؤدي الى موت الكثير من الحرافيش[٧] ،وذلك من شدة البرد [٨]،اذا ما عرفنا: ان البرد قد نزل في ثغر دمياط[٩] سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)،وكان" قدر كل بردة مثل بيضة النعام،..وتزن خمسة وسبعون رطلا بالمصري"،فأدى ذلك البرد الى قتل البهائم والطيور[١٠]، وربما بالغ ابن إياس بحجم البرد رغبة منه في بيان خسائر ذلك البرد لأفراد المجتمع المملوكي، وسقط البرد ايضا في ثغر الاسكندرية سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م)، صاحبه ثلج كثير حتى غطى الشوارع واسطح المنازل [١١]. اما في سنة (٩١٤هـ/١٥٠٨م)،فقد تعرضت مصر

(١)الرطل:هو من وحدات الوزن .يختلف من بلد الى آخر،فالرطل)المصري يعادل(١٤٤)درهم ، أي يساوي (٥و٤٣٧)غم.ينظر: القلقشندي،صبح الاعشى ،ج٣،ص٤٤٥؛ هنتس ،فالتر،المكاييل والأوزان الإسلامية ،ترجمة :كامل العسلي ،(عمان،الجامعة الأردنية،١٩٧٠)،ص٣٠.

(٢)ابن إياس،بدائع،ج٢،ص١٢٢.

(٣)م ،ن،ج٢،ص٣٣٢.

(٤)يستخدم الدرهم لوزن البضائع ،ويختلف اختلافا جوهريا عن عيارها لوزن النقود ،فيزن ٨٩٨.و٣غم .ينظر: هنتس ،المكاييل ،ص١١ .

(٥) ابن إياس،بدائع،ج٢،ص٣٧٤.

(٦)م ، ن،ج٢،ص٣٧٤.

(٧)الحرافيش:هي طبقة ظهرت في المجتمع المملوكي ؛ نتيجة الأزمات التي ادخلت ذلك المجتمع في معارك وحروب وظلم ، فضلا على من خسر أمواله من التجار ، وانضم إلى تلك الطبقة ، ومن اجل التخلص من خطرها عمد السلاطين عند وقوع الغلاء بمصر ، وشح نهر النيل ، وانعدام الأقوات إلى جمع أولئك الحرافيش والفقراء ،وتقسيمهم على الأمراء ، وأخذ السلاطين قسما منهم ، ووفروا لهم الطعام في كل يوم ،ورسم لهم أن لا يسألوا أحدا بعد ذلك من الناس من أجل الحفاظ على الأمن بمصر ؛خوفا على البلاد من الفتن التي قد تؤدي إلى تهديد حكم المماليك أكثر من حرصهم على ذلك المكون . ينظر:ابن إياس،بدائع،ج١، ق١،ص٣١٩،ج١،ق٢،ص٤٤٣، ج٢،ص(١٢٥، ١٨٤)،ج٤،ص١٤١.

(٨))ابن إياس،بدائع،ج٣،ص٢٦٨.

(٩)دمياط:مدينة قديمة تقع بين تنيس ومصر على بحر الروم(البحر المتوسط)،وهي من اهم الثغور الاسلامية ،ويصب في شمالها نهر النيل، وفيها برجان بينهما سلسلة حديد تقوم بمراقبة السفن،حيث تُعدّ من اعظم مدن مصر واجل قواعدها.ينظر:العبدري،الرحلة،ص١٤٨؛البغدادي ،مراصد،ج٢،ص٥٣٦.

(١٠)ابن إياس،بدائع،ج٣،ص٢٩٤.

(١١)م ، ن،ج٣،ص٢٩٩.

لموجة شديدة من البرد الحقت الضرر بالمزروعات ،وخاصة الفواكه والقمح[١].ونزل البرد ايضا في رمضان سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م) ،في كل من: الشرقية والمنوفية ،و"كان قدر كل واحدة تساوي احد عشر رطلا" ،فادى ذلك الى موت اطفال الفلاحين والبهائم وفساد الزرع[٢]، اذ ما علمنا: ان مصر تعرضت لموجة شديدة من البرد في سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م) ، ادت الى تلف المزروعات ، وارتفاع اسعار الشعير والقمح والفول والخضروات والبرسيم[٣] .

٥– الرياح : لقد تكلم ابن إياس عن الرياح بِعدّها من الكوارث المناخية ، اذ ذكر: انه في احداث سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م)،هبت رياح "عاصفة ذات سموم وحر شديد ،مع غيم مطبق ،ورعود ومطر قليل غرق منها عدة سفن ...هلك فيها خلائق ،واشتدت الامراض في مصر " ،فكلما اشتدت الريح ازداد تفشي الامراض مابين افراد المجتمع المملوكي ،فغالبا ما كانت كثرة الامراض تؤدي الى زيادة في سعر الادوية، مما يؤثر ذلك سلبا في افراد المجتمع[٤] ؛وذلك لعدم قدرتهم على توفير الاموال لشراء تلك الادوية . وقد "ثارت رياح عاصفة وأرعدت السماء ،واظلم الجو"،وذلك ما حدث في شهر محرم سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م)[٥]، وأيضا تعرض المجتمع المملوكي لهبوب رياح عاصفة في شهر جمادي الاولى سنة (٨٢٦هـ/١٤٢٢م)، حتى قُلعت النخيل من عروشها، وفي الوقت نفسه اسهمت الريح في تمزيق الجراد الذي هجم على مصر[٦].اما في سنة (٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، فقد هبت ريح سوداء قال فيها ابن إياس: "كادت القيامة ان تقوم"[٧] ،وهبت ايضا ريح عاصفة بدمياط في سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، وسببت الظلام ،وصاحبها الرعد والبرق كانت شديدة ، مما ادت الى قلع الاشجار وهدم الاماكن وإغراق المراكب[٨]، ثم ثار"ريح اسود حتى اظلم منه الجو ،ووقع في ذلك اليوم بيوت وعدة اماكن ونخيل...وغرق في ذلك اليوم عدة مراكب" وقد تجسد ذلك في شهر رجب سنة(٩٠٩هـ/١٥٠٣م)[٩]. اما في شهر صفر سنة (٩١٧هـ/١٥١١م)، فقد هبت ريح عاصفة ادت الى احراق اربعين دارا ،واستمرت اياما،وكذلك هبت رياح عاصفة أدت الى إغراق مراكب في نهر النيل ،وذلك في شهر صفر سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) [١٠] .

(١)ابن إياس،بدائع، ج٤،ص١٥٠.
(٢)م ، ن، ج٤،ص١٩٩.
(٣) م ، ن،ج٤،ص٢١٧.
(٤)م ، ن، ج١،ق٢،ص٦٨٥.
(٥)م ، ن،ج٢،ص١٣.
(٦) م، ن،ج٢،ص٨٦.
(٧)م ، ن،ج٢،ص١٢٢.
(٨)م ، ن،ج٣،ص١٨٧.
(٩) م ، ن،ج٤،ص٦٠.
(١٠) م ، ن،ج٤،ص٢١٧، ج٥،ص٢١.

٦–الصواعق والحرائق: وهي من الكوارث المناخية المخيفة ، والتي عاناها المجتمع المملوكي المصري.ففي سنة(٧٥١هـ/١٣٥٠م)، حدث حريق هائل، "فعملت النار في البيوت ،فاحترق في تلك الليلة نحو ألف دار"، وقد شارك افراد المجتمع بإطفاء ذلك الحريق ،ورافق الحريق هبوب رياح وعواصف اسهمت في زيادة

النار، وقد نال افراد المجتمع اشد العذاب من جراء ذلك الحريق[١] .اما في شهر جمادى الاولى سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، فقد وقعت صاعقة عظيمة على القلعة ،فأحترق منها عدة اماكن ،واستمر الحريق لعدة ايام ،فأصبحت النار ليل نهار ،وتعب الناس من اطفاءها[٢] وقد ارعدت السماء ونزلت منها صواعق شديدة حدثت في سنة (٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، "واشرف الناس فيها على الهلاك[٣]، ووقع حريق في بولاق نتيجة نزول صاعقة من السماء ،وذلك كان في شهر جمادي الآخرة سنة (٨٦٢هـ/١٤٥٧م)،على"بعض الاماكن ادت الى احتراقها، وما زاد الحريق هبوب رياح عاصفة سوداء ادت الى احراق" ثلاثمائة دار وربوع[٤] ودكاكين وشون"[٥]،واستمر الحريق اسبوعا .وقد بين ابن إياس حسب رأيه: ان سبب الحريق كان غضب الله تعالى وانتقامه من ذلك الحي؛ وذلك لكثرة الفسق والفساد الذي انتشر فيه ،وعُدّه ابن إياس من المفترجات[٦]،حيث كان ذلك الحريق بداية الحرائق في مصر ، اذ صار في كل ليلة يقع الحريق ،والذي ادى الى مقتل الكثير من افراد المجتمع، وخاصة التجار من كثرة حريق البيوتات والدكاكين ، حتى قال الشهاب المنصوري[٧] في ذلك :**لهفي على مصر وسكانها فالدمع من عيني لهذا طليق**

ما شاهدوا الحشر ولا هوله فكيف قد ذاقوا عذاب الحريق

اما في شهر جمادي الاخرة من سنة (٨٦٦هـ/١٤٦١م)، فقد حدث رعد وبرق، ونزلت صاعقة على مأذنة فأحرقتها[٨].

(١)ابن إياس،بدائع،ج١،ق١،ص٥٣٦.

(٢)م ، ن،ج١،ق٢،ص١١٢.

(٣)م ، ن،ج٢،ص٢٤٧.

(٤) ربع:هي المساكن المبنية فوق الحوانيت والدكاكين ،والتي تعد بمثابة مخازن للبضائع التجارية .ينظر:دهمان ،معجم،ص٨١.

(٥)الشون:هو مخزن الغلة والحصاد والمواد الاخرى يوجد داخل قلعة الجبل .ينظر:الخطيب،معجم،ص٢٧٨.

(٦)ابن إياس،بدائع،ج٢، ٣٤٧.

(٧)الشهاب المنصوري: هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد بن علي بن محمد المنصوري الشافعي ، ثم الحنبلي، ويعرف بـ(ابن الهائم) وبـ(القائم) كان شاعر زمانه،وله ديوان كبير. توفي سنة(٨٨٧هـ/١٤٨٢م)،ينظر:السيوطي،حسن المحاضرة،ج١،ص٥٧٤؛ بدائع ،ج٣،ص(٥٩، ١٩٤)؛ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ،(بيروت،دار ابن كثير،١٩٩٣)، مج٩،ص٥١٨.

(٨)ابن إياس،بدائع،ج٢،ص٣٩٢.

وحدث حريق سنة(٨٦٢هـ/١٤٥٧م)،وكان ذلك الحريق مفتعلا من الجواسيس ضد السلطان [١] ،وفي سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م)، حدث حريق في القاهرة يحرق في كل يوم عددا من الامكنة؛ وذلك بسبب الدريس –البرسيم اليابس الذي يستخدم طعام الخيول –وقد تضرر منه افراد المجتمع ماديا وعينيا [٢].

ثالثا: الكوارث بيولوجية:تشمل الكوارث البيولوجية الاوبئة والامراض،مثل: **وباء الطاعون**[٣]، وكذلك الآفات الزراعية :كالجراد والدود، والفئران بعدها كوارث فتاكة للإنسان، اذ يؤدي وباء الطاعون الى الموت، والذي يؤثر ذلك سلبا في حياة المجتمع ،وخاصة انه يسبب خلل واضح في تعداد السكان عن طريق موت البعض، وهجرة البعض الآخر تاركين بيوتهم ومزارعهم الى مناطق بعيدة للتخلص من ذلك الوباء ،والذي يؤدي الى تدمير القوة البشرية ، فضلا على ذلك تأثيره السلبي في نمو السكان اذا ما عرفنا :انه يؤثر اقتصاديا في المجتمع،حيث ينشغل الناس بالتخلص من الوباء اكثر من انشغالهم بممارسة اعمالهم او شرائهم وتبضعهم من الاسواق، مما يؤدي ذلك الى ركود اقتصادي[٤]. ويعزو ابن إياس انتشار ذلك الوباء في مصر ؛ "لكثرة الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا وجور المماليك في حق الناس"[٥]. وكان بعض السلاطين المماليك عندما ينتشر وباء الطاعون ،ويزداد عدد الموتى في المجتمع المصري نراهم يعمدون الى انشاء العديد من المغاسل لغسل الأموات وتكفينهم[٦] ؛وذلك لكثرة الموتى من جهة، وطلبا للآجر والثواب من جهة اخرى.وقد قال ابن إياس عن وباء الطاعون :" اذا دخل الدار يفنيها من اهلها ،حتى يعلقوا مفاتيح الدار في رجل النعش"[٧]. وقال ايضا:"تزايد أمر الطاعون جدا، وتعطلت أحوال الناس؛ بسبب كثرة الموت في الناس من كبير وصغير، وصارت الجنائز تمر في الشوارع والطرقات كالقطارات ،وتصف النعوش في المصلات على بعضها وقت الصلاة ... وقد كثر الورد في هذه الأيام جدا حتى صاروا يعملوا فوق النعوش قواصر من جريد ،ويغرزوا فيها الورد"[٨]. وكان من عادة افراد المجتمع المملوكي المصري التضرع لله تعالى بان يرفع عنهم ذلك البلاء ،اذ كانت تجتمع فئات المجتمع المملوكي كله من سلطان وقاضي وشيخ وعالم ونساء وأطفال وأيتام

---

(١)ابن إياس،بدائع، ج٢،ص٣٤٧.

(٢) م ، ن،ج٤،ص٣٠ .

(٣)الطاعون : عبارة عن "حبة تخرج في الأرفاغ –أي المناطق الرخوة–، وتتخذ تلك الحبوب اللون الاحمر او الاسود او الاخضر ، حيث يسبب ذلك الوباء خفقان القلب ،ناهيك عن التقيؤ، ويكون على ثلاثة انواع ،هي:(الطاعون اللمفاوي والرئوي وتعفن الدم) [٢].وقد عدّوه مرض "وبائي؛بسبب باسيل الطاعون الذي يصيب الفئران وتنقله البراغيث الى فئران اخرى،ومن ثم ينتقل الى الانسان .ينظر: ابن حجر العسقلاني،بذل الماعون في فضل الطاعون،تحقيق: احمد عصام عبد القادر،(الرياض،دار العاصمة،١٩٨٦)،ص٩٦؛ابن إياس،بدائع،ج٢،ص١٢٨.

(٤)ابن إياس،بدائع،ج٤،ص(٢٩٩،٢٩٧).

(٥) م،ن،ج٣،ص٢٨٧.

(٦)م،ن،ج١،ق١ ص٤٧١

(٧)م ،ن،ج٢،ص١٣٢.

(٨)م،ن،ج٢،ص(٣٢٢، ٣٥٩،٣٥٧).

وأهل الذمة يدعون الله تعالى بتخليصهم من وباء الطاعون[١] ،وقد يصوموا لأيام للدعاء.وقد يصل الحال الى موت افراد المجتمع بشكل كبير جدا حتى تمتلىء الطرقات بالموتى ،لا بل يصل الحال الى ان الكلاب تأكل جثث الموتى الملقاة في الطرقات.ولم يعرف ذلك الوباء لا غنيا ولا فقيرا ، وقد ادى ذلك الوباء الى زيادة اسعار الفواكه والخضروات حتى شمل اسعار الدجاج والطيور ،وبدأ الميسورون من جلب الفراريج من مناطق اخرى لقلتها ؛بسبب موتها [٢] .وتجنبا للإطالة فقد عمدت الى وضع جدول يوضح عدد مرات تعرض المجتمع المملوكي لوباء الطاعون على وفق كتاب "بدائع الزهور"لابن إياس:

ت	السنة	عدد الموتى
١	٦٩٥هـ/١٢٩٥م	الناس يتساقطون موتى في الطرقات نساء ورجال واطفال حتى فنى من اهل مصر نحو الثلث"
٢	٧٣٦هـ/١٣٣٥م	"مات من الناس ما لا يحصى عددهم" .
٣	٧٤٩هـ/١٣٤٨م	مات اكثر من تسعمائة ألف انسان.
٤	٧٦٤هـ/١٣٦٢م	"هلك من الناس ما لا يحصى ".
٥	٧٦٩هـ/١٣٦٧م	مات ما لا يحصى في القاهرة من اطفال ومماليك وعبيد وجوار فضلا على الغرباء .
٦	٧٧٦هـ/١٣٧٤م	"كان يخرج من القاهرة في اليوم ستمائة جنازة".
٧	٧٨٣هـ/١٣٨١م	"اجتمع الوباء والغلاء وفتك بفئات المجتمع فتكا ذريعا".
٨	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	"اشتد الامر على الناس وخرجوا للدعاء".
٩	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	مات الف وخمسمائة انسان في اليوم الواحد لاكثر من شهر .
١٠	٨١٦هـ/١٤١٣م	"كثُرَ الموت في الشباب والاطفال".
١١	٨١٨هـ/١٤١٥م	ابتدأ وباء الطاعون في تلك السنة وازداد في السنة التي تلتها .
١٢	٨١٩هـ/١٤١٦م	مات اكثر من عشرين الف انسان ،وكان اكثرهم من الاطفال والمماليك والجواري والعبيد .
١٣	٨٢٢هـ/١٤١٩م	"مات من اهل القاهرة والفلاحين نحو النصف" .
١٤	٨٣١هـ/١٤٢٧م	انتشر وباء الطاعون في بلاد الصعيد .
١٥	٨٣٣هـ/١٤٢٩م	مات في كل يوم اربعة وعشرون الف انسان ، وفيها من أهل مصر نحو الثلث .
١٦	٨٤١هـ/١٤٣٧م	مات مائة الف انسان.
١٧	٨٤٨هـ/١٤٤٤م	شهدت تلك السنة خمسة آلاف جنازة في اليوم .
١٨	٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م	مات للسلطان جقمق أربعة ذكور ، ومات من الناس ما لا يحصى عددهم .
١٩	٨٦٤هـ/١٤٥٩م	"صارت الجنائز تمر في الشوارع والطرقات كالقطارات ،ومات من المماليك الجلبان اكثر من ألف وخمسمائة الف مملوك".
٢٠	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	وهو اول انتشار لوباء الطاعون في دولة قايتباي ، اذ توفي ابن السلطان وابنته.
٢١	٨٨١هـ/١٤٧٦م	انتشر وباء الطاعون للمرة الثانية في عهد السلطان قايتباي،اذ "مات ما لا يحصى عددهم".
٢٢	٨٩٧هـ/١٤٩١م	للمرة الثالثة انتشر وباء الطاعون في عهد السلطان قايتباي ، اذا مات أكثر من مئتي ألف انسان من ضمنهم اثنتى عشرة ألف بنت بكر من بنات مصر .
٢٣	٩٠٣هـ/١٤٩٧م	استمر وباء الطاعون لاكثر من ثلاثة اشهر ، ومات أكثر من مئتي ألف انسان ، فضلا على موت المماليك السلطانية الذين بلغ عددهم نحو الف ومائتين .
٢٤	٩٠٩هـ/١٥٠٣م	كان انتشار وباء الطاعون خفيفا .
٢٥	٩١٠هـ/١٥٠٤م	مات من الناس ما لا يحصى عددهم .
٢٦	٩١٩هـ/١٥١٣م	فتك وباء الطاعون بالناس فتكا ذريعا ،اذ مات ثلاثمائة وخمسة وستون انسان في اليوم الواحد، وفي اربعة فصول بما يعادل ثلاثة آلاف انسان .

الجدول من اعداد الباحثة.

من الجدول اعلاه يتضح لنا : ان اعداد الموتى الذين ذكرهم ابن إياس في مؤلفه قد يكون مبالغ فيه نوعا ما . لكن ذلك لم يمنع من موت الكثير من افراد المجتمع المملوكي المصري ، ناهيك عن تأثيره السلبي في كل الجوانب الحياتية للمجتمع آنذاك.

(١)ابن إياس،بدائع،ج١،ق٢،ص٣٩٠.

(٢)م ، ن،ج١،ق٢،ص(٨٣، ١٤، ٥٤٥)،ج٤،ص٢٥٣.

٢٠

اما الجراد والفئران والدود : فتعد من الكوارث البيولوجية ، اذ ما علمنا :ان الجراد قد هجم على مصر سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)، حيث استفاد منه افراد المجتمع :كطعام ؛نظرا للجاف الذي استشرى في البلاد آنذاك[١]، وكذلك هجم جراد كثير سنة(٨٤١هـ،١٤٣٧م) ،فأتلف المزروعات[٢] . اما في سنة (٨٣٤هـ/١٤٣٠م)،وفي منطقة (كوم النجار) من اعمال الغربية ، حيث كثرت الفئران وهجمت على الناس فتضرروا كثيرا ، فضلا على ما اصاب المزروعات من فساد[٣] اذا ما عرفنا : ان الفئران قد هجمت على المزروعات ،ومنها: القمح والشعير ،وهو في سنابله، اذ قال ابن إياس في ذلك :"الفأر أمر من الله تعالى لا يقدر أحد على رده ولا يطاق لكثرته "كل ذلك حدث في سنة(٩١٧هـ/١٥١١م)[٤].اما في سنة (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، فقد هاجم الدود محصول البرسيم ،وادى ذلك الى ارتفاع سعر البرسيم ، والذي تضرر منه اصحاب الدواب[٥].

رابعا :الكوارث الكونية : وتتضمن تلك الكوارث حدوث ظاهرتي: الكسوف والخسوف ،وظهور الكواكب وسقوط النجوم، اذ كان هنالك اشخاص يطلق عليهم (المنجمون) الذين كانوا لديهم حسابات معينة يتوقعون فيها حدوث تلك الكوارث الكونية، وذلك لتنبيه افراد المجتمع المملوكي آنذاك بما كانوا يقومون به من اعمال تغضب الله تعالى.فقد حدث كسوف للشمس في ٢٨ من شهر صفر سنة (٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، وكان كسوفا فاحشا ، وبعد ذلك حدث خسوف للقمر في الثاني من شهر ربيع الاول للسنة نفسها، وكان بينهما اربعة ايام .فعدّهُ ابن إياس من النوادر الغريبة ،والاتفاق العجيب الذي قد يعقبهما امر عظيم[٦].اما في سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)، فقد حدث خسوف للقمر قال عنه ابن إياس: "خسف جرم القمر جميعه ،وكان خسوفا فاحشا "،وفي شهر جمادى الآخرة سنة(٨٣٤هـ/١٤٣٠م) ، أخبر المنجمون بوقوع كسوف للشمس ،فلم يقع الكسوف في ذلك الشهر ،"فتعجب الناس من ذلك" ربما كانوا يتوقعون عقب ذلك الكسوف ان يحدث تغيير السلطان او تغيير حال المجتمع الى الاحسن[٧] . اما في شهر ذي القعدة سنة (٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، فقد وقع خسوف للقمر ،وبعد خمسة عشر يوما حدث

(١)ابن إياس،بدائع،،ج١،ق٢، ص(١٤١، ٧٠٦).

(٢) م ، ن،ج١،ق١،ص(٣٩١،٣٩٠).

(٣)م ، ن،ج٢،ص١٨٦.

(٤) م ، ن،ج٢،ص١٣٨.

(٥)م ، ن،ج٣،ص٢٢٤.

(٦)م ، ن،ج١،ق٢،ص١٠٠،

(٧) م ، ن،ج٣،ص٦٦،ج٢،ص١٣٨.

كسوفا للشمس، اي ان الخسوف والكسوف حدثا في شهر واحد ، فتعجب الناس من ذلك، وعدوه من النوادر [١]. وحدث كسوف للشمس في شهر جمادي الآخرة سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)،فتوجه افراد المجتمع الى الجوامع للدعاء والاستغفار ولتأدية صلاة الكسوف[٢]، وأعقب ذلك الكسوف ظهور وباء الطاعون[٣].وقد حدث كسوفا تاما للشمس حتى اظلمت الدنيا ، وكان ذلك في شهر شعبان سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)[٤]،ثم حدث خسوفا للقمر في شهر صفر سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٥م)[٥]،وكذلك حدث كسوفا للشمس في شهر رجب سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م)[٦]،وحدث ايضا خسوفا للقمر بصورة تامة حتى اظلم الجو ، وكان ذلك في سنة(٨٨٠هـ/١٤٧٥م) [٧]،وكذلك حدث خسوف اعتقد الناس على اثره زوال السلطان ،وهو ماحدث في سنة(٨٩٢هـ/١٤٩٦م) [٨]، وقال ابن إياس : "خسوف القمر أياما قلائل ،حتى عد ذلك من النوادر" وكان ذلك سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) [٩] ". اما في سنة(٩٢٢هـ/١٥١٦م)،من شهر جمادى الآخرة فقد"خسف القمر خسوفا فاحشا حتى أظلمت الدنيا"[١٠]" وكان ذلك نذيرا لسقوط الدولة المملوكية . وما نلحظه مما تقدم: ان المجتمع المملوكي المصري كان ينتظر عقب كل كسوف او خسوف ان يحدث امر ما قد يكون في مصلحة المجتمع :كزوال سلطان او ضده: كالجفاف او انتشار وباء الطاعون او هجوم الجراد والفئران وغيرها من الكوارث،وايضا يُرجع المجتمع ذلك الى غضب الله تعالى ؛ لكثرة المعاصي التي كانت تُرتكب،اذ ما علمنا :ان هنالك علاقة كانت مابين الخالق والمخلوق اساسها قائم على طاعة الله .

اما فيما يخص ظهور الكواكب والنجوم . ففي سنة (٧٧٢هـ/١٣٧٠م) ،ظهرت في السماء حمرة شديدة تشبه النار،واستمرت حتى طلوع الفجر ،فخاف الناس من ذلك،و"صار يودع بعضهم بعضا"، ويستغفرون الله من ذنوبهم، وتبع ذلك حدوث رعد وبرق في الجو ،فضلا على ذلك فقد سقطت نجوم عدة محدثة فزع وخوف كبيرين عند افراد المجتمع ،وذلك ما شهدته سنة(٧٧٩هـ/١٣٧٧م)[١١].

(١)ابن إياس،بدائع،ج٢،ص١٤٩.

(٢)م ، ن،ج٢،ص٢٦٥.

(٣) م ، ن،ج٢،ص٢٧٤.

(٤)م ، ن،ج٢،ص٤٠٥.

(٥) م ، ن،ج٢،ص٤٣٣.

(٦) م ، ن،ج٢،ص٤٤٧.

(٧) م ، ن،ج٣،ص١١٥.

(٨) م ، ن،ج٣،ص٢٣٨.
(٩) م ، ن،ج٤،ص٤٢.
(١٠) م ، ن،ج٥،ص٥٤.
(١١) م ،ن،ج١،ق٢،(١٦٢، ٢٠٦).

وظهر ايضا كوكب في السماء من شهر رجب سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) ،وكان كوكبا عظيما له ذؤابة قدر الرمح كان يظهر عند غروب الشمس ويتطاير منه شرار فأبدى افراد المجتمع عجبهم من ذلك الكوكب اذا ما عرفنا : ان ظهوره كان مرتبط بكارثة قادمة الى مصر ، وكانت بالفعل تلك الكارثة هي وباء الطاعون الذي فتك بأفراد المجتمع[١].اما في شهر جمادي الاولى سنة (٨٦٠هـ/١٤٥٥م)،فقد ظهر في السماء نجم بذنب[٢] طويل جدا ،واستمر ظهور ذلك النجم لمدة شهرين ،ثم اختفى وظهر بعد ذلك ليستمر ظهوره لمدة ثلاث سنين وقد توقع الفلكية ظهور ذلك النجم وقد تكلم افراد المجتمع عن سبب ظهور ذلك النجم فجاء الجواب سريعا بظهور وباء الطاعون ، ومن ثم حدوث حريق بالقاهرة [٣].وقد فسر افراد المجتمع ظهور ذلك النجم او الكوكب الى ان سلطانا قويا سيمسك الحكم او هي نهاية لسلطان جائر، ثم ظهر نجم له ذنب مستطيل في شهر شعبان من سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م)[٤] ؛سبب رعبا لأفراد المجتمع المملوكي .

الخاتمة :

لقد تعرض المجتمع المملوكي للكثير من الكوارث التي ادت الى الحاق الضرر بأفراده، وكان التصدي لتلك الكوارث عقيما من الدولة على الرغم مما قام به بعض السلاطين من اعمال لم تكن ناجحة وناجعة في التصدي لتلك الكوارث مابين زلزال وجفاف وفيضان وأوبئة ،وقد دفع المجتمع ضريبة تلك الكوارث، فتعرض للموت والخسائر الكبيرة بالممتلكات والمنشآت ، مما ادى ذلك الى قلة عدد السكان ،فضلا على ان الهجرة والنزوح اديا الى قلة النمو السكاني في مصر المملوكية ،ناهيك عن الاضرار الاجتماعية ،والتي ادت الى عدم اقامة الكثير من المناسبات الاجتماعية، مثل: الزواج وإقامة حفلات الختان ...وغيرها من الفعاليات الاخرى،اضف الى ذلك ما شهده قطاع الثروة الحيوانية والسمكية من خسائر انعكست سلبا على البعض من افراد المجتمع بِعدّه مصدر رزق لهم ،اذ ما علمنا :ان تلك الثروة كانت ايضا عماد الجيوش العسكرية: كالخيول والجمال ، وكذلك ادت الكوارث الى حدوث ارتفاع بالأسعار ،ثم غلاء بالمواد الغذائية:كالقمح والشعير والفواكه والسكر والعسل والأدوية التي كان المرضى يحتاجون اليها ، ناهيك عن الاضرار النفسية التي اصيب بها أفراد المجتمع ،ومن ثم سعيهم لطلب العون والمساعدة من الله تعالى في رفع ذلك البلاء عنهم، وإزالة خطر تلك الكوارث اذا ما عرفنا :ان اغلب افراد المجتمع كانوا يتجهون عند حدوث اي كارثة الى اقامة العبادات من الصلاة وقراءة القرآن والأحاديث الشريفة وإخراج الصدقة.

(١)ابن إياس ،بدائع،ج٢،ص(١٣٢، ١٣٣).

(٢)ظهر النجم اول مرة عندما قتل قابيل اخاه هابيل ،وكذلك عند حدوث الطوفان ،وعند وقود نار ابراهيم الخليل "عليه السلام" ،وعند هلاك قوم عاد وثمود، وعند هلاك فرعون ،وعند مقتل الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" ،وعند مقتل الامام علي "عليه السلام".

(٣)ابن إياس،بدائع،ج٢.ص٣٣٣.

(٤)م ،ن،ج١،ق١،ص٥٥٤،ج٣،ص٦٨.

قائمة المصادر:

اولا: القرآن الكريم

ثانيا:المصادر

١-الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، (ت٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،(القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢).

٢-ابن إياس،محمد أبو البركات،(ت٩٣٠هـ)،بدائع الزهور في وقائع الدهور ،تحقيق:محمد مصطفى،(القاهرة،مطبعة دار الكتب والوثائق،٢٠٠٨).

٣-ابن إياس،نزهة الأمم في العجائب والحكم ،تحقيق:محمد زينهم محمد عزب،(القاهرة،مكتبة مدبولي ١٩٩٥).

٤-البخاري،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي،(ت٢٥٦هـ)،التاريخ الكبير،تحقيق:هاشم الندوي،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٩٧٥).

٥-البغدادي ،صفي الدين عبد المؤمن،(ت ٧٣٩هـ)،مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والقلاع ،تحقيق:علي البجاوي،(بيروت،دار الجيل، ١٩٩٢) .

٦-البلاذري ،أبو الحسن ،(ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، (بيروت ،دار الكتب العلمية، ١٩٧٨).

٧-ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢).

٨-ابن تغري بردي،الدليل الشافي على المنهل الصافي،تحقيق: فهيم محمد شلتوت،(القاهرة ، مكتبة الخانجى، ١٩٧٩).

٩-حاجي خليفة،مصطفى بن عبدالله، (ت١٠٦٧هـ)،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،تحقيق:محمد شرف الدين،(بيروت،دار أحياء التراث،١٩٤١).

١٠-ابن حجر العسقلاني ، ابي الفضل احمد ، (٨٥٢هـ)،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،(بيروت،دار أحياء التراث العربي،١٩٧٢).

١١-ابن حجر العسقلاني،بذل الماعون في فضل الطاعون،تحقيق: احمد عصام عبد القادر،(الرياض،دار العاصمة،١٩٨٦).

١٢-أبن دقماق،إبراهيم بن محمد بن أيدمر، العلائي، (ت٨٠٩هـ) ،الانتصار لواسطة عقد الأمصار،(القاهرة ،مطبعة بولاق، ١٨٣٩م).

١٣-ابن زنبل ،احمد الرمال، (ت٩٦٠هـ)،واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق:عبد المنعم عامر،(القاهرة ،الهيأة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨).

١٤-السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب،(ت٧٧١هـ)،طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق:عبد الفتاح محمد ،(القاهرة ، مطبعة هجر،١٩٩٢).

١٥-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)،الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ،(بيروت،دار الجيل، ١٩٩٢).

١٦-السيوطي،جلال الدين ،(ت٩١١هـ)،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق:محمد ابو الفضل ،(القاهرة ،(د.م)،١٩٦٧).

١٧-ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل ،(ت ٨٧٣هـ)،زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك،(باريس،مطبعة الجمهورية، ١٨٩٤).

١٨-الشيرازي،أبو إسحاق،(ت٤٧٦هـ)،طبقات الفقهاء،تحقيق:إحسان عباس،(بيروت،دار الرائد،١٩٧٠).

١٩-ابن طولون ، محمد بن الصالحي ،(ت٨٥٣هـ)،أعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الكبرى ،تحقيق:دهمان،(دمشق،دار الفكر ، ١٩٨٤).

٢٠-ابن ظهيرة،الفضائل،ابن ظهيرة،جار الله جمال الدين،(ت٩٨٦هـ)،الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة،تحقيق:مصطفى السقا(القاهرة،دارالكتب،١٩٦٩).

٢١-العبدري،محمد بن علي بن مسعود البلنسي،(ت٧٢٥هـ)الرحلة المغربية،(الجزائر،منشورات بونة،٢٠٠٧).

٢٢-ابن العماد الحنبلي،أبو الفلاح عبد الحي(ت١٠٨٩هـ)،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط،(بيروت،دار ابن كثير،١٩٩٣).

٢٣-ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، (ت٧٣٢هـ)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق : محمد زينهم ، ويحيي سيد حسن،(القاهرة ، دارالمعارف) .

٢٤-ابو الفداء،تقويم البلدان ، تصحيح : كوكين ديلان ،(باريس ، المطبعة العثمانية ، ١٨٥٠).

٢٥-ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى،(ت ٧٤٩هـ)،التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق:محمد حسين شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨) .

٢٦-الفيروز آبادي،،مجد الدين محمد ،(ت٨١٧هـ) تحقيق:مكتب تحقيق التراث،(بيروت،مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥).

٢٧-القزويني،زكريا بن محمد بن محمود،(ت٦٨٢هـ)،آثارالبلاد وأخبار العباد،(بيروت،دارصادر،٢٠١١).

٢٨-القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي ، (ت٨٢١هـ)،صبح الاعشى في صناعة الانشا،(القاهرة ، المطبعة الاميرية ،١٩١٤م).

٢٩-ابن كنان ،محمد بن عيسى ،(ت١١٥٣هـ)حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تحقيق: عباس صباغ، (بيروت،دارالنفائس،١٩٩١).

٣٠-المقريزي تقي الدين ابي العباس احمد بن علي ،(ت٨٤٥هـ) ، المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية)،(القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧) .

٣١-المقريزي ،السلوك لمعرفة دول الملوك ،تحقيق: محمد عبد القادر، (بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٧ .

٣٢-المنصوري،بيبرس،(٧٢٥هـ) ،مختارالأخبار،تحقيق:عبد الحميد صالح،(القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٣).

٣٣-ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ،(ت٧١١هـ) ،لسان العرب، ،(القاهرة،دار الحديث ،٢٠١٣).

٣٤-ابن الوكيل،يوسف الملواني،(ت١١٣١هـ)، تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،تحقيق: محمد الشناوي،(القاهرة ، الآفاق العربية ،١٩٩٩).

ثالثا :المراجع العربية والمعربة :

١-البغدادي،اسماعيل باشا ،هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين (بيروت،دار احياءالتراث،١٩٥٥).

٢-البقري،احمد ماهر ،ابن إياس واللغة، (الاسكندرية،المكتب الجامعي الحديث،١٩٨٩).

٣- بول،استانلي لين،سيرة القاهرة ،ترجمة:حسن ابراهيم حسن ،وعلى ابراهيم حسن،(القاهرة ،مكتبة النهضة ،١٩٠٢).

٤-الخالدي،فاضل عبد اللطيف ،ابن إياس المصري ومنهجه في البحث العلمي، (بغداد،مطبعة المعارف،١٩٧٤).

٥-زيادة، نقولا،دمشق في عصر المماليك،(بيروت،مؤسسة فرنكلين، ١٩٦٦).

٦-زيدان ،جورجي ،تاريخ آداب اللغة العربية ،(القاهرة،مؤسسة هنداوي،٢٠١٢).

٧-سليم ،محمود رزق ،عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (القاهرة ، المطبعة النموذجية، ١٩٦٢)

٨-شلبي، خيري ،مؤرخو مصرالإسلامية،(القاهرة،مطابع المستقبل،١٩٩٨).

٩-عاشور ،العصر المماليكي في مصر والشام ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٤) .

١٠-عاصي،حسين ،ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٣).

١١-عبد السيد،حكيم امين ،قيام دولة المماليك الثانية ،(القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦).

١٢-عبدالله،يسري عبد الغني،معجم المؤرخين المسلمين،ط١،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩١).

١٣-عنان،محمد عبدالله ،مؤرخو مصر الإسلامية،(القاهرة،مؤسسة المختار،١٩٦٩).

١٤-ماجد ،عبد المنعم ،التعبيرات الحضارية عند ابن إياس ،(القاهرة ،الهيأة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٧) .

١٥-ماجد ،نظم دولة السلاطين ورسومهم في مصر،(القاهرة ،مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٩)،ص(١٩،١٤).

١٦-مارغوليوس ،دراسات عن المؤرخين العرب ،ترجمة : حسين نصار(بيروت،دار الثقافة،١٩٢٩).

١٧-محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم أرباب، الاخطار والكوارث الكونية الحدث والمواجه (القاهرة،دار الفكر العربي،١٩٩٨).

١٨-مصطفى،شاكر،التاريخ العربي والمؤرخون،ط٢،(بيروت،دار العلم للملايين،١٩٩٠).

١٩-مصطفى،محمد ، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور،(القاهرة،دار المعارف،١٩٥١).

٢٠-هنتس ،فالتر ،المكاييل والأوزان الإسلامية ،ترجمة :كامل العسلي ،(عمان،الجامعة الأردنية،١٩٧٠).

رابعا :الرسائل الجامعية:

١-محمد علي،عبد الفتاح ،ابن تغري بردي وابن إياس دراسة مقارنة ،رسالة ماجستير غير منشورة ،القاهرة ،١٩٨٦,

٢-محمود ، بن خليفة،ابن إياس ومنهجه في كتابة التاريخ "بدائع الزهور في وقائع الدهور نموذجا،رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر ،٢٠٠١٢.

خامسا:الدراسات:

١-رابعة مزهر شاكر، ومحمد عبد القادر خريسات ،الكتابة التاريخية عند العثمانيين في القرن العاشر الهجري ،مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، الاردن، مج(٤١)،العدد(١) ،٢٠١٤ .

٢-زيادة،مصطفى ،مقتبسات من ابن إياس ،بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ،مج١٢، (١٩٦٤-١٩٦٥).

٣-مجلة الظواهر الطبيعية ، منظمة الامم المنحدة للتربية والعلم والثقافة ،مكتب اليونسكو الاقليمي ،٢٠٠٩.

٤-سوبرنهايم ،مقالة نشرت في دائرة المعارف الاسلامية.

سادسا:المعاجم :

١-الخطيب،مصطفى عبد الكريم ،معجم المصطلحات والالقاب التاريخية (بيروت،مؤسسة الرسالة ،١٩٩٦) .

٢-دهمان،محمد احمد ،معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي(بيروت،دار الفكر المعاصر،١٩٩٠) .

٣-الزركلي ،خير الدين ،الاعلام،(بيروت،دار العلم للملايين،٢٠٠٢).

٤-كحالة ، عمر رضا ،معجم المؤلفين ،ط١(بيروت،مؤسسة الرسالة،١٩٩٣).